الباب الأول

مفهوم الهوية بين الجماعات اليهودية فى المجتمعات الغربية

تمهيد :

إذا كان البعض يرى أن مفهوما "الشخصية" أو "الهوية" يشيران إلى نفس المعنى، ألا وهو: نتاج تفاعل بين مجموعة من البشر، ومركب من الظروف البيئية والتاريخية الثابتة على مدى زمنى معقول، فإن هذا الأمر لم يتوفر للجماعات اليهودية التى إنتشرت فى بقاع الأرض المختلفة، وعاشت تحت ظروف اجتماعية مختلفة، وتأثرت بهويات هذه المجتمعات بشكل أو بآخر، ونتيجة لذلك فإنه يمكن استخدام صيغة الشخصيات اليهودية، والهويات اليهودية، وصيغة الجمع لا تنكر الخصوصيات اليهودية، ولكنها لاتجمع بينها وكأن هناك صفة جوهرية أو عالمية كامنة فى كل اليهود. ومن هنا يمكننا أن نتحدث عن الشخصية أو الهوية اليمنية اليهودية فى أواخر القرن التاسع عشر، أو الشخصية الخزرية اليهودية فى القرن التاسع، أو الشخصية الأشكنازية فى إسرائيل، أو الشخصية السفاردية من أصل سورى فى أمريكا اللاتينية. ويمكن دراسة تطور هذه الشخصيات اليهودية المتنوعة والمختلفة بدراسة سماتها المستمدة من أزمنة وأمكنة مختلفة ([1]).

ومن الآراء المختلفة حول وضع اليهود فى أنحاء العالم، أن اليهود يعيشون فى "المنفى"([2])، وأن هذا الوضع كان من بين الأسس الأولية للغاية التى تشكل مضمون الوجود اليهودى ، وإنه فى الجزيئات و الذرات التى تبنى هويته الروحية والوجودية، وإنه جزء عضوى من الخرافات القومية لليهود، وأن المنفى ليس حالة خارجية مفروضة، بل حالة داخلية اختارها اليهود ويشتاقون إليها، وأن وجود اليهود يتخطى أى ظرف من الناحية الدينية، وكذلك أيضا من الناحية القومية. إذ أن اليهود يمكنهم أن يصنعوا أكبر الرذائل فى نظر إلههم، ويمكن أن يفقدوا كل ملامح هويتهم القومية ويظل وجودهم مضموناً، إنهم يُعاقبون ولكنهم لا يُبادون على الإطلاق. و فى مقابل هذا يُمنحون الوجود السيادى فى فلسطين، كما يمكنهم أن يتواجدوا خارج فلسطين وجوداً مؤقتاً منحدراً، ولكنهم يظلون بمثابة وجود (وقليلة هى الشعوب التى تستطيع أن تتصور لنفسها كيف يمكن المحافظة على الهوية القومية بينما الشعب كله منفى من وطنه)([3]).

إن التغيرات التى صاحبت الهوية اليهودية، كما يقول أستاذ علم النفس الاجتماعى بالجامعة العبرية، تنبع من التطورات الفريدة والخاصة بكل مجتمع، من تغيرات طرأت على وضع اليهود فى العالم غير اليهودى، وتأثير حركات سياسية واجتماعية، يهودية وعامة، على حياة الشعب اليهودى. وليس المقصود أشكال التغيرات التاريخية، وإنما لإبراز وتأكيد أن الهوية

([1]) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودي ؟ ، مرجع سابق، ص١١ .

([2]) مصطلح يستخدمه المفكرون الصهاينة ليؤكدوا على أن اليهود كانوا قبل قيام دولة إسرائيل فى المنفى ، وإنه فُرض عليهم بالإجبار، وبالتالى فإن إقامتهم فيه مؤقتة إلى أن يعودوا إلى "ارض الميعاد" فى إسرائيل .

([3]) الشامى (د. رشاد عبد الله) اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الثبات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ص٤٩ .

اليهودية، كما نعرفها اليوم، هى ثمرة التطور التاريخى، وتعرضت للعديد من القوى التى أثرت فيها فى الماضى، ومستمرة فى تشكيل الهوية اليهودية فى الحاضر " ([1]) .

ويمكن تقسيم المظاهر التى أثرت على تشكيل الهويات عند الجماعات اليهودية فى العالم إلى جزءين: الجزء الاول: وهو "الجيتو" ([2])، والذى كان يعيش اليهود بداخله منعزلين عن المجتمعات التى عاشوا فيها، والذى أثر تأثيراً مباشراً على تشكيل هويتهم. والجزء الثانى: هو "الهسكالاه" ([3]) أو "حركة التنوير اليهودية"، والتى أثرت تأثيراً كبيراً على هوية اليهود وإندماجهم بداخل الشعوب التى عاشوا بينها، وذوبان هويتهم داخل هويات هذه المجتمعات .

من هنا قمت بتقسيم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: مفهوم "الهوية" بين الجماعات اليهودية فى أوروبا .

الفصل الثانى: مفهوم "الهوية" فى ضوء حركة التنوير اليهودية .

([1]) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), הספריה הציונית, ירושלים, 1979, עמ'73 .

([2]) الجيتوגיטו: من المحتمل أن يكون هذا الاصطلاح قد أستخدم أولاً لوصف حى من أحياء البندقية يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن، يسمى جيتو أو بورجيتو، وكان هذا الحى محاط بالأسوار والبوابات، اتضح أنه هو الجزء الوحيد من المدينة المسموح فيه بالإستيطان لليهود. وقد ظهرت أول حارة يهود لها أحكام وقيود مخصوصة فى مدينة البندقية عام ١٥١٦ م ، للحد من جشع اليهود، ولكبح جماح أطماعهم الاقتصادية. كما كانت تشير أيضاً إلى بعض الأحياء المتماثلة التى تسكن فيها جماعات غير يهودية، فى بعض مدن جنوب أفريقيا، ثم أصبحت بعد ذلك تطلق على أحياء سكنية خاصة باليهود. أنظر:

Encyclopedia Jodiaca,volume7,keter publishing house,Jerusalem,Israel,1971,p.542.
Roth(Cecil), The concise Jewish encyclopedia, Amerindian book , new American library, 1980 p. 19

([3]) "الهسكالاه השכלה": هى كلمة عبرية تعنى: التنوير أو الإستنارة، أطلقت على الحركة التى ظهرت بين يهود أوروبا، تأثراً بالنهضة الثقافية الأوروبية، فى منتصف القرن الثامن عشر، وطالبت بنشر العلم والثقافة بين سواد الشعب، وإلغاء الحواجز بين اليهود وسائر الشعوب، وأول من استخدمها بهذا المعنى هو يهودا جيلتس عام ١٨٣٢م. وكان من نتائج هذه الحركة انبعاث الأدب العبرى الحديث، وبعث اللغة العبرية كلغة كتابة وتخاطب. وسوف يرد الحديث عن هذه الحركة فى الفصل التالى. أنظر: العكش (د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب،مع مسرد للألفاظ العربية، دار أولاد عليوه للطباعة والتجليد،القاهرة ١٩٩٧م، ص٢٣٨-٢٣٩

الفصل الأول

مفهوم "الهوية" بين الجماعات اليهودية فى أوروبا

تعتبر مرحلة الجيتو مرحلة هامة فى تاريخ اليهود، والتى شكلت فى حد ذاتها أهم ملامح هوية اليهود فى الشتات، بما يمكن أن نطلق عليه اسم "الهوية الجيتوية"، والتى كانت لها تأثيراً كبيراً، فيما بعد، على الشخصية اليهودية، وعلى تشكيل هويتها بعد قيام دولة إسرائيل، وسوف نتناول أبرز هذه السمات، والملامح التى شكلت هوية اليهود داخل أسوار الجيتو ...

- العزلة كملمح من ملامح الهوية فى الجيتو :

إن ما يُقال له "المسألة اليهودية" هو فى جانب أساسى منه مشكلة "الهوية اليهودية" فى التشكيل الحضارى الغربى، التى تعود بجذورها إلى العصور الوسطى فى الغرب، إذ أن أعضاء الجماعات اليهودية لعبوا هناك دور الجماعات الوظيفية ([1]) الوسيطة، كتجار ومرابين، الأمر الذى أدى إلى عزلتهم عن بقية أعضاء المجتمع، ومما دعم هذه العزلة علاقات الجماعة الوظيفية اليهودية (فى كل بلد أو مدينة أوروبية) مع الجماعات الوظيفية اليهودية الأخرى فى أنحاء العالم الغربي والإسلامى، وقد خلقت هذه العلاقات وهم الوحدة، بحيث كان المراقب الخارجى يتصور أن اليهود يشكلون وحدة قومية بسبب علاقاتهم التجارية والمالية، وهم فى الواقع جماعات غير متجانسة، تنتمى إلى تشكيلات حضارية مختلفة. ومن أسباب تدعيم العزلة أيضاً، التصور المسيحي لهم بإعتبارهم قتلة المسيح، وقد تبدى كل هذا فى شكل استيطان وتوطين اليهود فى الجيتو ([2]) .

وكان العزل السكنى داخل الجيتو هو قانون اليهودى فى المدينة، وكثيراً ما يرتد هذا العزل إلى قوانين الدولة والشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها، وعلى الرغم من أنهم كانوا يدعون ،أنه يُفرض عليهم بالقوة، من قبيل التباعد والاستعلاء عليهم كفئة من المنبوذين، ولإحكام الرقابة والسيطرة عليهم، إلا إنه كثيراً ما كان يرجع هذا الوضع إلى اليهود أنفسهم، سعياً منهم كأقلية مسحوقة، إلى التركز والاحتشاد داخل نقطة واحدة، ضماناً للحماية فى حظيرة واحدة ([3]) .

وقد اعتمد اليهود على مسألة الجيتو للتأكيد على عزلتهم عن المجتمعات التى عاشوا فيها، وأنهم عاشوا كشعب مستقل بصفته "شعب الله المختار"، و كانت لهم لغتهم وثقافتهم الخاصة التى تميزهم عن بقية مواطنى الدولة التى يعيشون فيها. فتميزت الشخصية اليهودية

([1]) الجماعات الوظيفية : هى مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع بإسناد وظائف شتى إليها، ويرى أعضاء هذا المجتمع أنهم لا يمكنهم الإضطلاع بها لأسباب مختلفة، وقد تكون هذه الوظائف مسيئة فى نظرة المجتمع (كالتجيم-البغاء-الربا)، أو مميزة (كالطب-النخبة الحاكمة -القتال) . أنظر: المسيرى (د.عبد الوهاب)،تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى ٢٠١٠م، ص ٦٤٣ .

([2]) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودي ؟، مرجع سابق، ص ٥٩ .

([3]) حمدان (د. جمال)، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٥١ .

بالازدواجية، فهى تجمع بين الانعزالية، والانطواء، والإحساس بالتفوق، والتميز عن المجتمع الذى تعيش فيه، فهى تعيش فى جيتو نفسى أكثر مما هو واقعى ([1]).

كما يرى اليهود أن دينهم ليس ديناً عاماً، ولكن ديناً خاصاً بهم فلا يصح أن يدخله أحد غيرهم، ورأوا أن العزلة تحقق لهم هذا الغرض، حيث يظل الدين مغلقاً عليهم وحدهم ([2]).

ويقول "ول ديورانت" (١٨٨٥-١٩٨١): " كان اليهود فى العادة يعيشون فى عزلة اختيارية عن غيرهم من الأهلين، لتيسر لهم هذه العزلة حياتهم الاجتماعية، وسلامتهم الجسمية، ووحدتهم الدينية، وكان كنيسهم مركز الحى اليهودى الجغرافى والاجتماعى والاقتصادى، يجتذب إليه معظم مساكن اليهود، ولهذا إزدحمت المساكن حوله إزدحاماً كبيراً، وأضر ذلك الازدحام بالصحة العامة والخاصة، فقد كادت المساكن أن تكون أحياء قذرة، وبيئة مزدحمة بالسكان"([3]).

وقد اتضح فيما بعد أن عزلة الجيتو كانت اختياراً من اليهود منذ البداية ، وتعمقت داخلهم مع مرور الوقت، كما يعترف "ماكس نورداو "([4]) برغبة اليهودى بالانعزال داخل أحياء الجيتو، وأن هذه الأحياء كانت بمثابة ملجأ يحتمون فيه من الاضطهاد، فيقول: " إن اليهودى حرص على عزل نفسه، فكان إذا لم تضعه السلطات فى مكان منعزل، تراه يبنى لنفسه منطقة منعزلة من تلقاء نفسه، يسكن فيها بمفرده، دون أن يختلط مع المسيحيين إلا فى أمور العمل، وبالرغم من أن كلمة حارة اليهود أو منطقة الانعزال تُعتبر اليوم وصمة عار واحتقار، لكن علماء النفس، والقومية، والتاريخ، يعرفون أن مناطق العزلة كانت لليهودى فى الماضى بمثابة ملجأ وليس سجناً."، كما يعترف الكاتب اليهودى " يوسف حاييم برينر"([5]) بإيجابية الحياة داخل الجيتو، حيث يرجع لها الفضل فى الحفاظ على حياة اليهود، فقال: " كان من الطبيعى أن يتقوقع

([1]) عطا(د.زبيدة محمد)، اليهود فى العالم العربى- دراسة تاريخية فى قضايا الهوية-الإندماج-القدس،الجزء الأول، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٣، ص١٠٩.

([2]) الزاجحى (د.عبده)، الشخصية الإسرائيلية، دار المعارف، ١٩٦٨، ص٤٢ .

([3]) ديورانت (ول وايريل)، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، الجزء الثالث من المجلد الرابع، الجزء الرابع عشر، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٩٨٨، ص٥٧ .

([4]) ماكس نورداو(سمحا مئير زيدفلد)(١٨٤٩م-١٩٢٣م) : أديب وطبيب، وأحد الزعماء الصهاينة، وهو الزميل والساعد الأيمن لهرتسل، ولد فى بودابست، وتوفى فى باريس، انتقد بشده الوضع الاجتماعى والثقافى فى أوروبا، وخلال المؤتمر اليهودى فى لندن ١٩٢٠م، دعا إلى تهجير نصف مليون يهودى من أوروبا الشرقية لدعم الاستيطانى اليهودى فى فلسطين. ترجمت كتبه ومقالاته إلى عدة لغات. أنظر: تلمى (أفرايم مناحم)، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمى، دار الجليل للنشر والأبحاث والدراسات الفلسطينية، عمان ١٩٨٨، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٥) يوسف حاييم برينر יוסף חיים ברנר (١٨٨١م- ١٩٢١م) : ولد فى روسيا وجاء إلى فلسطين عام ١٩٠٨ وتوفى على يد الثوار الفلسطينيين فى اشتباك وقع بينهم وبين المستوطنين الصهاينة عام ١٩٢١م. نشر عام١٩٠١ أول مجموعة قصصية ، وكتب عدداً من القصص والروايات والمسرحيات ، وترجم بعض الأعمال الروسية والألمانية إلى العبرية ، من أعماله : "فى الشتاءבחורף" (١٩٠٤) ، "من هنا ومن هناكמכאן ומכאן" (١٩٠٤)، "قائمة من الماضى القريبרשימה מן העבר הקרוב " (١٩٢١) . أنظر :
Hebrew writers, General Directory of Hebrew writers ,the institute for the translation of Hebrew literature ,printed in Israel,1993 ,p. 40

اليهود داخل صدفاتهم السلحفائية عندما كانوا يتعرضون للاضطهاد، ويتطلعون من خلال الشقوق الموجودة فى جدران كهوفهم لأيام أفضل، لقد كان لنا فى حارات الجيتو تأميناً كبقائنا"([1]).

ولأن المعتقدات الدينية لليهود تنص على عدم الاختلاط بغير اليهود، فقد أدى هذا إلى تعزيز فكرتهم للتكتل فى أحياء خاصة بهم، وأحاطوها بأسوار يغلقون أبوابها عند غروب شمس كل يوم. وإن كانت حجتهم فى إقامة أحياء يهودية خالصة هى أن لهم تقاليد وعادات خاصة بهم، لا يريدون اضطلاع غير اليهود عليها ([2]) .

وهكذا كانت العزلة خاصية نفسية، وسلوكاً تقليدياً، التزم به اليهود فى كل مكان وزمان، وكانت الأفكار العنصرية هى التى تُحدد علاقاتهم بالآخرين، وأصبح تكتل اليهود يُشكل دولة داخل دولة، مما أثار شكوك الحكومات التى خشيت تمرد هذه الفئة وانفلات زمامها، فقررت عزلهم فى أحياء خاصة بهم كى تستطيع إحكام الرقابة عليهم، حينئذ أصبح هناك عامل إجبار خارجى على اليهود، أي أن الجيتو كان فى البداية اختيارياً، ثم أصبح بمرور الوقت إجبارياً ([3]).

لقد تصور اليهودى داخل الجيتو أن الأشكال الثقافية التى كانت سائدة، سواء كانت الثقافة الشعبية المتمثلة فى الرقص والغناء، أو كلاسيكية متمثلة فى الدراسات الدينية والفقهية، أنها يهودية خالصة، وتتسم بخصوصية يهودية، ولذا فقد كانت ثقته بنفسه تزداد، ويزداد إحساسه بهويته اليهودية، وفى نهاية الأمر عزلته عن العالم ([4]).

وقد أدى انفصالهم عن الزمان والمكان اللذان يعيشان فيه، إلى تعميق الإحساس بالعزلة والغربة نحو المجتمع المضيف، ويعيشون فيه دون أن يكونوا منه، ويتطور لديهم إحساس عميق بهويتهم المستقلة، ومع ذلك فإن المعجم الحضارى لأعضاء الجماعة الوظيفية، لا يختلف فى واقع الأمر عن معجم مجتمع الأغلبية، إلا فى بعض التفاصيل الخاصة، فهم آله لا وطن لها اسماً، ولكنهم يعيشون فعلا فى المجتمع المضيف، يؤدون وظيفتهم فيه بشكل يومى، ومن ثم فهويتهم هوية وهمية ([5]).

مما سبق نجد أن العزلة، سواء التى فرضها اليهود على أنفسهم، أو التى فُرضت عليهم وميزت طابع حياتهم، قد أثرت على البناء النفسي والاجتماعي لهويتهم، وجعلتهم يشعرون بأن

([1]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى- دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلى، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م، ص٤٩ .

([2]) عبد المجيد (د. محمد بحر)، اليهود فى الأندلس، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٩٧٠م، ص٦.

([3]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)، مرجع سابق، ص ٥١ .

([4]) المسيرى (د.عبد الوهاب محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، دار الشروق،الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٩٢-٢٩٣ .

([5]) المسيرى (د.عبد الوهاب)، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص ٦٤٥ .

هويتهم تختلف عن الهويات الأخرى، وهو ما أدى إلى زيادة الإحساس لديهم بالغربة والاغتراب([1]) .

ويبدو أن هذا الاغتراب أثر على هوية الفرد اليهودى بصورة كبيرة، وهو ما يؤكده علماء النفس والاجتماع ، فنجد عند " إريكسون " أن الاغتراب هو " تشتت الأنا " الناتج من عدم القدرة على صياغة وتطوير وجهة نظر متماسكة نحو العالم، وموقف الفرد منه، والاغتراب كما أُشتق من نظرية " إريكسون " هو معوق أساسى فى تطور حرية الأنا أو فى تكوين موقف واضح تجاه العالم، وتدور أشكال الاغتراب حول الانعزال المهنى، والانعزال الشخصى، وكلها تعبر عن متاعب الهوية ([2]) .

وهذا الانعزال يصف حالة اليهود فى أنحاء العالم، قبل قيام دولة إسرائيل، داخل الجيتو حيث كانوا يعيشون فى عزلة كبيرة عن المجتمعات التى كانوا يعيشون بينها، وهذا الاغتراب هو الذى سببه اليهود لأنفسهم فى "الشتات"([3])، حيث كان اليهود منذ القدم يبدأون مختارين بفرض حصار على أنفسهم وراء أسوار العزلة والتزمت الدينى والعنصرى، ثم فرضت عليهم بعد ذلك من قبل السلطات الأوروبية .

وكان مغزى انعزال الطائفة اليهودية عن التاريخ، هو الانعزال عن الذين يصفون التاريخ، والذين كان يُنظر إليهم باعتبارهم شعوب كافرة "جوييم"، ولذلك فقد أصبحت هناك حالة من الغربة السيكولوجية الموضوعية، بين أولئك الذين فى وسط التاريخ، وأولئك الذين خارجه، ولم يعد كل من هؤلاء قادر على فهم الآخر، و بدأوا يشككون فى الإنسانية المشتركة لكليهما ([4]) .

- انعكاس انعدام الأمن بين اليهود فى أوروبا على مفهوم الهوية:

إن مشكلة الهوية من المشاكل التى تسبب إزعاجاً لليهود منذ أكثر من قرنين من الزمان، لقد عاش اليهود فى أرجاء العالم، وخاصة فى كل من غرب وشرق أوروبا ووسطها، فى إطار منعزل عن المجتمعات التى يعيشون فيها، وقد عمق هذا النمط من الحياة، الإحساس لدى

([1]) يُعرف الاغتراب فى المعاجم العربية بأنه: "النزوح عن الوطن" (أنظر: الزاوى (الظاهر أحمد)، القاموس المحيط، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٩٧٣م، ص٣٧٧)، وقد دارت كل المعانى الفلسفية الحديثة لمصطلح الإغتراب حول محور واحد، وهو الانفصال، أى انفصال الفرد عن المجموع، وإنعدام القدرة على مجاراتهم، وإحساسه بعدم وجود مغزى وقيمة للحياة دفعه أيضاً إلى محاولة الانسحاب إلى داخل "الأنا"، ليعيش فى عزلة مع نفسه، تاركا الحياة الجمعية العكش (د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص٤٦١ .

([2]) مرسى(د. أبو بكر مرسى محمد)، أزمة الهوية فى المراهقة والحاجة للإرشاد النفسى، مرجع سابق، ص ٥٨.

([3]) يبدأ "الشتات" أو "الدياسبورا" بالمعنى الاصطلاحى بعد قضاء تيتوس على الوجود اليهودى الضئيل فى فلسطين عام ٧٠م، والذى استكمله هدريان عام ١٣٥م. أنظر: ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م، ص٦٨ .

([4]) الشامي (د. رشاد عبد الله) اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الشتات، مرجع سابق، ص١٢-١٣ .

اليهودى، بأن هذا الانعزال أصبح درع الأمان للحفاظ على الطائفة اليهودية وشريعتها، حيث كانت هذه الإقامة المنعزلة هى الشرنقة التى تحافظ على حياتها الروحية، إلى أن يحين الوقت الذى يشاء فيه الرب إعادته إلى مايُسمى "أرض الميعاد"، مع حلول الخلاص المسيحانى (١).

لقد كانت الأماكن داخل الجيتو مزدحمة جداً، مما جعل اليهود فيها صيداً سهلاً للمهاجمة(٢)، وهو ما عزز شعورهم بانعدام الأمن، وإحساسهم الدائم بالخطر والاضطهاد، كل ذلك جعل اليهودى لا يُقدم على اقتناء أشياء ثمينة فى بيته، فقد استخدم بعض اليهود حجراتهم كمكان للعمل والسكن معا.

وكانت منازل اليهود فى بعض أحياء الجيتو عبارة عن أكشاك خشبية رائحتها متعفنة، وفوق هذه الأكشاك كان اليهود يضعون عيدان القش والتبن التى كانوا يستخدمونها في معيشتهم، مما يساعد على اشتعال النيران، والتسبب فى إندلاع الحرائق، التى كانت أحياناً تحرق منازل حى جيتو بأكمله قبل وصول النجدة من خارج الجيتو (٣) .

ويصف "أفراهام مابو" (٤)، فى رواية "المنافق עיט צבוע" (٥) البيت الذى قطن فيه فى (كوفناه)، إحدى ضواحى روسيا، فيقول: " نبتت على سطح هذا البيت النباتات الشيطانية، وقد تعفنت ألواحه الخشبية، وتداعت حوائطه وأثاثه، وفُرشت أرضية هذا البيت بألواح خشبية مدهونة بدهان باهت مائل للإحمرار، وغطيت حوائطه بالطين والحصى، لإخفاء التصدعات والشقوق فى البيت " (٦) .

وقد جلب الشعور بانعدام الأمن داخل أحياء الجيتو، ظواهر سيكولوجية نفسية، وسلوكية، أثرت على الشخصية والهوية اليهودية، وكان من بينها، اليأس وفقدان الأمل، الذى سيطر على اليهود داخل الجيتو. وقد عبر بعض الأدباء عن روح اليأس ومشاعر العزلة فى

---

(١) الشامي(د.رشاد عبد الله) ، إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٢ .

(٢) (Roth (Cecil), The concise Jewish encyclopedia, p189

(٣) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص٣٠ .

(٤) أفراهام مابو אברהם מאפו (١٨٠٨- ١٨٦٧) : وُلد فى ليتوانيا فى روسيا، شاعر عبرى وأول قصصى فى الأدب العبرى، وقد انحدر من أسرة اشتهرت بالتصوف، كما درس دراسة أوروبية، إنضم إلى حركة التنوير اليهودية ودرس الألمانية والفرنسية والروسية. وتشبع مابو بروح العهد القديم ولغته فى إنتاج أعماله الأدبية، وكانت أول أعماله رواية "محبة صهيونאהבת ציון"(١٨٥٠م)،وقد تُرجمت إلى العديد من اللغات، وقد اهتمت الرواية بتصوير يهودى العهد القديم تصويراً دقيقاً، وأصدر روايته التاريخية "خطيئة السامرة אשמת שומרון"(١٨٦٦م)، و"المنافق עיט צבוע " (١٨٥٧م). أنظر: أنظر: على(د. فؤاد حسنين)، الأدب اليهودى المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ م، ص ٥١. وأنظر أيضاً: לקסיקון הספרות העברית החדשה, نقلاً عن: http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/1/1/2010

(٥) صدر الجزء الأول من رواية " المنافق" فى عام ١٨٥٧م، وفى عام ١٨٦٠م صدر الجزء الثانى، وفى عام ١٨٦٤م صدر الجزء الثالث، أما الأجزاء الأخيرة فقد صدرت بعد وفاته فى عام ١٨٦٧م .

(٦) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)،الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص٣٢ .

قصصهم، فقد عبر مثلاً "يوسف حاييم برينر" عن عالم البطل النفسى فى قصة "إلى هناك שמה"، الذى يعتبر نموذجاً لليهودى، وجسم ما فيه من صراعات ومشاعر العزلة عند تركه لبيت آبائه، يقول:

"כולם יושבים בבית-אבותיהם, לכולם פה אחים ואחיות קטנים וחביבים ואני? עזוב ונכלם, דך ונדח, זר ומבוזה, נער בארץ נכריה... שם לא הייתי מוכרח לנוע ככלב אחרי אוכל ביום טוב, לאכול במקום אחד וללון במקום אחר ..." (١)

" كلهم يجلسون فى بيت آبائهم، لهم هنا جميعاً أخوة وأخوات صغار وأحباء .. وأنا؟ مهجور خجول، فقير محطم، غريب ومحتقر، شاب فى أرض غريبة ... هناك لم أكن مضطراً للتجول كالكلب وراء الأكل فى العيد، آكل فى مكان وأنام فى مكان آخر" .

كما برزت الشخصية اليهودية المنطوية على نفسها نتيجة لحياة اليهود فى الجيتو زمناً طويلاً، وانفصالهم عن المجتمع الذى عاشوا فيه، وأصبحت سمة الانطواء على الذات صفة مميزة ورئيسة ليهود الجيتو، لأن هذه الصفة أصبحت عنصراً من عناصر عزلته. فأصبح اليهودى وبصفة خاصة اليهودى الأشكنازى ميالاً إلى الانطواء، خجولاً، مضطرباً، عند التعامل مع الغرباء وهذا ما أثبتته الأبحاث التى قام بها "سبيرو" على الشباب الإسرائيلى، حيث يقول: "إنهم يبدون كما لو كانوا قد أحاطوا أنفسهم بقوقعة لا تمتد شخصياتهم إلى خارجها إلا فيما ندر"، ويشير إلى أن هذا الانطواء أخذ مظاهر متعدده، وهى الخجل والاضطراب عند التعامل مع الغرباء، وحرص كل منهم على الاحتفاظ بمسافة سيكولوجية معينة تفصله عن الآخرين، وندرة إقامتهم لعلاقات انفعالية وثيقة بين بعضهم البعض (٢) .

ومن السمات السلوكية التى ميزت شخصية يهود الجيتو هى حب المال والحرص عليه وعبادته لدرجة البخل الشديد عند الكثير منهم، حيث أدت الصفة المادية للشخصية اليهودية إلى صفة أخرى، هى الشخصية البخيلة، حتى إنها أصبحت أصل من الأصول المكونه للنفسية اليهودية، لأن الظروف التى عاشها اليهود داخل أسوار الجيتو، وما تعرضوا له من اضطهادات، وكذلك عدم استقرارهم فى بلد محدد لفترات طويلة، كل هذا أدى إلى أن يصبح المال شيئاً جوهرياً فى حياتهم (٣).

---

(١) برنر (יוסף חיים), כל כתבי י. ח. ברנר, הוצאת דביר, תל-אביב 1956م, סיפור "שמה" .

(٢) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)،الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص٣٩١ .

(٣) الزاجحى (د.عبده)، الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، ص ٧٥ .

وفى الأدب العبرى مايشير إلى هذه الصفة، ونذكر منها قصة " الإحسان الخفى" ([1])، للأديب "ألكسندر زيسكند ربينوبتش" ([2]) المعروف باسم "آزار".

لقد أثرت حياة الجيتو على اليهود تأثيراً كبيراً على شخصيتهم وهويتهم اليهودية المنغلقة داخل أسوار الجيتو، حيث أصبح الخوف الناتج من توقع العدوان ضمن مكونات النفسية اليهودية، لذلك نجد أنه على الرغم من المستوى الحضارى المتدنى، والفكر المتخلف الذى ساد الحياة فى الجيتو، إلا أن اليهود كانوا يشعرون بالأمان داخل حدوده، وكانوا ينظرون إلى العالم الخارجى بعين الشك والريبة، وأنه عالم مليء بالأخطار لدرجة أنه عندما حاولت اليهودية الإصلاحية أن تهدم أسوار الجيتو، وأن تستجيب لنداء الاندماج، بعد أن أنطلقت شعارات الحرية فى العصر الحديث، رفض الصهيونيون هذا الأمر، وعملوا على إقامة دولة إسرائيل لتكون جيتو كبير يعيش فى ثناياه يهود العالم حتى يشعرون بالأمان ([3]) .

- الشعور بالاضطهاد وتأثيره على "الهوية اليهودية" :

إن شعور اليهود بالأضطهاد كان من الظواهر التى شكلت هويتهم داخل الجيتو، ولذلك فقد حرص اليهود على أن يتقربوا إلى حكام البلاد الأوروبية، التى كانوا يحلون بها بكل الطرق الشريفة وغير الشريفة، وعن طريق الهدايا والرشوة، ليحتموا بهم ويكونوا مأمناً لهم من غضبة الشعب التى كانوا يتوقعونها دائماً، لشعورهم أنهم مكروهون أينما حلوا. ويبدو أن هذا الشعور هو الذى جعل الجاليات اليهودية تختار الحى الخاص بها عادة قريباً من قصور الحكام ([4]) .

ومن الأمور التى كانت تشير إلى هذا الاضطهاد، ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية، أن مؤتمرا لاتيران الثالث والرابع اللذين عقدا فى عامى (١١٧٩م، ١٢١٥م) ([5])، أوصيا بفصل المسيحيين عن اليهود، وحرما المسيحيين السكنى بين اليهود والدخول فى خدمتهم، وفرضا على

([1]) "الإحسان الخفى" : والتى تحكى عن "سلومون" المصور اليهودى البارع الذى يتقاضى أجراً مرتفعاً، ومع ذلك فهو بخيل جداً لا ينفق إلا القليل، ويقوم فقط بإدخار أمواله، ومظهره يدل على بخله الشديد، حيث الملابس البالية، وكذلك مسكنه القذر، وذات مره عندما طلب منه صاحب العمل الذى يعمل عنده إقتراض بعض الأموال، رفض وقال أنه لا يملك شيئاً وفى النهاية مات سلومون فى غرفته القذرة، ولم يكن يريد حافرو القبور أن يدفنوه كالمعتاد، وأرادوا إلقاء جثته فى إحدى الحفر، ولكن إضطروا إلى مراعاة أصول الشريعة اليهودية. أنظر: صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)،الجيتو اليهودى، مرجع سابق .

([2]) " ألكسندر زيسكند ربينوبتش אלכסנדר-זיסקינד ראבינוביץ (אז"ר)(١٨٥٤– ١٩٤٥): ولد فى روسيا لأسرة فقيرة، وتلقى تعليما تلمودياً شاملاً، وفى فترة شبابه اهتم بأدب الهسكالاه وتعلم بنفس التوراة، كرس نفسه للنشاط الأدبى الصهيونى، والعبرية، من أوائل رجال حركة "محبة صهيون"، ألف عدداً من الروايات والمجموعات القصصية، يمتاز أدبه بالقيم الأخلاقية حيث يتعاطف مع المظلومين، وضحايا التمييز الطبقى، ومن أعماله"فى ظل المال בצל הכסף" (١٨٩٤م), "خطيئة الجماعة חטאת הציבור" (١٨٩٦م) . نقلاً عن:
http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon1/1/2010

([3]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)،الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص٣٩٢ .

([4]) عبد المجيد (د. محمد بحر)، مرجع سابق، ص٧ .

([5]) مؤتمر لاتيران الثالث : هو واحد من خمسة مؤتمرات شهيرة عقدتها الكنيسة الغربية في الفترة من ١١٢٣م الى ١٥١٧ م .

اليهود ضرورة وضع إشارة مميزة([1])، وذلك للحد من سيطرتهم الواسعة على التجارة، وإتقاء لشرورهم، وفتنهم الخطيرة، ومن هنا تقوقع اليهود داخل أحياء الجيتو وانعزلوا عن باقى السكان([2]).

وقد عبر "يوسف حاييم برينر" فى رواية " سنة واحدة שנה אחת "(١٩٠٨م)، عن فكرة كراهية "الجوييم"([3]) لليهود، عن طريق إشارته إلى احتقار القادة الروس للجنود اليهود وشكهم فى تصرفاتهم، فيقول:

"שנאת הגויים ליהודים...אין לשערה...השנאה ליהודים...היתה שנאה עצומה, טבעית, איתנה...היו היהודים ממש לצננים בעיני הכל. עליהם תלו את כל הקללה..." ([4])

" إن كراهية غير اليهود لليهود...لا يمكن تصورها...كانت الكراهية لليهود...كراهية كبيرة، طبيعية، قوية...كان اليهود، فى الحقيقة، مثل الشوك فى نظر الجميع. ونسبوا إليهم كل اللعنات".

ويضع برينر فى موضع آخر من الرواية على لسان الجدة، دعاء بألا يقع حفيدها فى أيدى "الجوييم" فيقول :

" ברם סבתה עצמה, בשעת החגיגה לכניסת נכדה לחדר וכמו כן ביום שהתחיל ללמוד חומש,היתה בכת העיקרית, שיפדנו ה' מידי הגויים...הוי, כמה נורא והדבר, כנראה, להיות מסור בידי הגויים " ([5])

" لكن الجدة نفسها، عندما تحتفل بإدخال حفيدها إلى الحيدر([6])، كان دعاؤها الرئيسى فى اليوم الذى يبدأ فيه دراسة التوراه، هو ليخلصنا الرب من أيدى الجوييم... ويلاه، ما أفظع الوقوع، على ما يبدو، فى أيدى الجوييم..."

([1]) كان اليهود يُميزون وفق أوامر من بعض السلطات فى العصور الوسطى بشارات معينة يضعونها على ملابسهم، وقد كانت بداية تلك الشارات فى العصر الحديث بواسطة النازى فى بولندا عام ١٩٣٩م .

([2]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى ، مرجع سابق، ص٢٤ .

([3]) "הגויים הجوييم ": كلمة جمع مفردها "جوى"، وأصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية قديمة جداً، واستخدمها العبريون فى العصور القديمة بمعنى الحشرات والهوام التى تزحف فى جموع كبيرة، ثم أصبح يطلق على الناس من السوقة والأشرار، وخصصتها العنصرية اليهودية منذ القدم للاشارة إلى الناس جميعاً من غير اليهود، وقد أضاف إليها أحبار اليهود معنى القذارة الروحية والمادية والكفر، وأصبحت تلصق باليهودى الذى يتعدى حدود الدين. أنظر: الشامى(د.رشاد)، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص٣٤-٣٥.

([4]) ברנר (יוסף חיים), כל כתבי י. ח. ברנר, כרך ראשון, עמ' 106 .

([5]) שם, עמ' 107 .

([6]) "החדר חיידר ": أو "חדר " بمعنى "الغرفة" هو تعبير يُطلق على معهد التعليم الأساسى اليهودى التقليدى، التقليدى، والذى كان خاصاً باليهود الأشكناز الذين كانوا يعيشون فى روسيا وأوروبا، وكان يطلق على من يقوم بالتدريس اسم "المعلم המלמד"، وكان يقام على نفقة المعلم وفى مسكنه الخاص، وفى المعبد أحياناً، وكان يُعرف عند اليهود فى البلدان الإسلامية باسم "كُتّاب כותאב"، ويُعرف عند يهود اليمن باسم "مدراش מדרש"، وعند يهود البلقان بإسم "ملدارى מלדארי". أنظر: الشامى (د. رشاد عبدالله)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية=

ويرى " ف- لوفسكى " أن الجيتو قد فُرض على اليهود، وكان بمثابة سجناً لهم، حيث يقول: " إن الإضطهاد المسيحى لليهود لم يكن منشؤه التعاليم المسيحية، ولكنه القانون الوضعي، الذى حط من قدر اليهود، وضاعف من الظلم والهوان، الذى وقع عليهم، وجعل المسيحي واليهودى عدوين لدودين، ينبغي أن يوضع بينهما حد فاصل فى علاقتهما الإجتماعية، لذلك فرض المسيحيون الجيتو على اليهود ليكون قفصاً وسجناً يعزلهم عن باقى المجتمع " ([1]) .

ولم يكن تعرض اليهود لمثل هذا الاضطهاد بسبب دينهم، ولكن المسئولية تعود فى معظمها إلى الشخصية اليهودية نفسها. وهذا "برنار لازار" (١٨٦٥م-١٩٠٣م)، الكاتب اليهودى، يضع قائمة طويلة من الأسباب، كلها صادرة عن تطرف اليهود، وتعصبهم، وخلطهم السياسة بالدين، ووضع ذلك كله تحت شعار التكتل العنصرى، وما بداخل أنفسهم من كبرياء تتجلى فى اعتقادهم أنهم "شعب الله المختار"([2]).

وهكذا نجد كيف أن انعزال اليهود عن الشعوب التى كانت بينهم، كان هو السبب الرئيسى فى اضطهاد تلك الشعوب لهم، وبالتالى أثر على تشكيل هويتهم داخل أسوار الجيتو، بما حواه من عزلة، وإضطهاد ، كان لهما أبلغ التأثير على الشخصية، والهوية اليهودية .

وتأثرت الهوية اليهودية داخل الجيتو بالاضطهادات، التى تعرض لها اليهود وقتها، فى أوروبا، وقد أدى الإضطهاد الذى تعرض له اليهود، مرورا بأحداث روسيا ١٨٨١م، وما حدث بعد إغتيال القيصر ألسكندر الثانى قيصر روسيا، وإتهام اليهود بقتله، وما أعقب ذلك من مذابح ضد اليهود فى أحداث عُرفت باسم البوجروم([3])، والتى على إثرها أصدرت الحكومة الروسية مجموعة من القوانين، عُرفت بإسم قوانين مايو ١٨٨٢ م، والتى تحظر على اليهود أن يعيشوا أو يمتلكوا أى عقار إلا فى المدن الموجوده داخل منطقة الاستيطان اليهودى، كما جعلت من حق السكان الروس فى القرى، طرد اليهود من قراهم، وغيره من القوانين المقيدة لحرية اليهود، وقد أصدرت الحكومة الروسية هذه القوانين، بعد أن قامت خلال سنين عديدة بعدة محاولات لدمج الجماعة اليهودية، اقتصادياً، وحضارياً، فى المجتمع الروسى، وباءت كل هذه المحاولات

=المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٢٦.وأنظر أيضاً: "חיידד"، نقلاً عن:
http://he.wikipedia.org/wiki/1/10/2010

([1]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص ٤٧ .

([2]) ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص٨١ .

([3]) «بوجروم» كلمة روسية معناها «التنكيل» أو «النكال» ، وهى الغارة الشعواء التى يشترك فيها العامة، متجهين إلى مراكز التجمع اليهودى للفتك بها، ويقسم الكتاب اليهود البوجروم إلى نوعين: أحدهما تلقائى، والثانى المخطط المرسوم، الذى سبقه تدبير سرى. ومن أشهر غارات النكال المدبرة، تلك التى حدثت فى جنوب روسيا عام ١٨٨١م، بعد أن وضع اليهود أنفسهم فى موقف المستفيد من حرب الكرم بين الروس وبين تركيا العثمانية عام ١٨٧٧م، وذلك بالتلاعب فى الاقتصاد، والاتصال سراً بالأتراك. للمزيد أنظر: ظاظا(د.حسن)، المرجع السابق، ص٨٤ .

بالفشل، فجاءت هذه القوانين وقامت بتقليص نطاق منطقة الاستيطان، كما قضت على فرص إندماج بعض القطاعات اليهودية فى المجتمع الروسى (١) .

وأبرز الأدباء اليهود فى هذه الفترة كان الأديب "يهودا ليف جوردون"(٢)، وقد تناول رفضه للاضطهاد فى قصائده (بين أسنان الأسود בין שני אריות) ، والتى دعا فيها زعماء إسرائيل أن يُعلموا أبناءهم فنون الحرب ليكونوا محاربين، حتى يتقوا ظلم المضطهدين، فيستطيعون الدفاع عن أنفسهم. وأيضاً عبَّر عن هذا الأمر فى قصيدته (فى أعماق البحر במצולות הים). ويختار "جوردون" موضوعات أشعاره من القصص الخيالية، حتى يبرز أحداث اليهود المأساوية عبر التاريخ، ففى القصيدة الأولى "بين أنياب الأسود" تُحرق القدس ويتحطم جبابرتها ويموتون بين أنياب الأسود. وفى القصيدة الثانية "فى أعماق البحر" شعب ضائع من سبى أسبانيا، يصطفون فى السفن المبحرة فى عرض البحر إلى مصير مجهول (٣).

ويمكننا أن نتفق فى الرأى مع د. رشاد الشامى بأن دراسة الشخصية والهوية اليهودية لا يمكن فهمها إلا إذا وقفنا على دراسة ظواهر التكوين السيكولوجى، التاريخى، والأيديولوجى للشخصية اليهودية، والتى صاحبت مراحل تكوين هذه الشخصية ابتداءً بمرحلة "الجيتو" فى "الشتات" اليهودى، ومرحلة الانعزالية اليهودية، وهى المراحل التى خلقت، وعملت على تثبيت ظاهرة الروح العدوانية فى الشخصية اليهودية والإسرائيلية فيما بعد، كرد فعل لكل هذه المراحل أيديولوجياً، وتاريخياً، ونفسياً (٤) .

وقد تحولت حياة اليهود إلى جحيم بعد أن اصبحت السلطة فى أيدى النازية، وقد أثرت هذه الصدمة على يهود الجيتو على المستويين النفسى والإقتصادى، وأدرك غالبية اليهود الذين قد اندمجوا فى المجتمع الألمانى، أن مصيرهم مرتبط بمصير الشعب اليهودى، وخاصةً بعد الفظائع التى إرتكبها النازيون فى حقهم، طبقاً لما ورد فى دائرة المعارف العبرية (٥).

---

(١) المسيرى (د.عبد الوهاب محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص٣٧٩-٣٨٠ .

(٢) "يهودا ليف جوردون יהודה ליב גורדון"(١٨٣٠م-١٨٩٢م): شاعر وقصاص يكتب بالعبرية، وُلد فى فيلنا، من أبرز أدباء حركة التنوير اليهودية، حيث انضم إليها وهو فى سن الرابعة عشر، وهو الأمر الذى أثر على أشعاره، كما تعلم الروسية، إلى جانب لغات غرب أوروبا،وساهم أيضا فى إحياء اللغة العبرية، بإستعماله الدقيق والواقعى لها، من أشعاره: "عشق داود وميخالאהבת דוד ומיכל "(١٨٥٦م)،"أمثال يهودا משלי יהודה (١٨٥٩)". أنظر: שאנן (אברהם), מלון הספרות החדשה העברית והכללית, הוצאת יבנה, תל-אביב 1978م, עמ' 182-181.

(٣)عبد الفتاح(د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، الثقافة العربية للطباعة ،بدون تاريخ ص٤٣-٤٤

(٤) الشامى (د.رشاد عبد الله)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ، مرجع سابق، ص١٦٤ .

(٥) يُطلق على هذه الفظائع فى الفكر الصهيونى "هشوآه השואה، واللفظ שואה يعنى كارثة أو دمار أو خراب، وورد بمعنى العاصفة فى أمثال (٧/١). وقد استخدم فى الأدبيات الصهيونية بعد إضافة أداة التعريف إليه للدلالة على الأحداث النازية ضد اليهود فى الحرب العالمية الثانية، وقد تناول بعض الأدباء اليهود هذه الأحداث فى بعض أعمالهم الأدبية، مثال ذلك "عجنون" فى قصصه "לילה מן הלילות ليلة من الليالى" و"עם נפשי مع نفسى". وقد صنعت الصهيونية من هذه الأحداث وثنا للبكاء والعويل، وأصبح ركنا هاما من أركان العقيدة=

الهوية فى ضوء أحداث النازية:

ثم تأتى مرحلة الأحداث النازية، لتوضح الصعوبات التى ساهمت فى تشكيل الشخصية والهوية اليهودية العدوانية، فلا يمكن فهم الهوية اليهودية فى هذا العصر، دون التطرق للتأثير العميق المستمر لتلك الأحداث، على تشكيل هذه الهوية. " إن ذكرى أحداث النازية تهز كل يهودى حتى أعماق قلبه "، هكذا ذكر القضاة فى محاكمة "أيخمان"([1]) فى القدس. فهذه الأحداث تظل مصدر أساسى، يؤثر على اليهود أنفسهم، وعلى مسيرة، علاقاتهم مع العالم غير اليهودى([2]) .

كان النازيون يعتبرون اليهود مصدراً من المصادر المالية لدولة ألمانيا، من تصدير البضائع التى ينتجها الجيتو، التى تديرها فرق الصاعقة والجستابو، والتى كانت تؤجر هذا المصدر إما للسلطة العسكرية، وإما لشركة مدنية، نظير ثمن يفوق كثيراً تكلفة الإبقاء على المصدر وإدارته، وكانت السلطات النازية تخفض مستوى المعيشة فى الجيتو إلى ما دون مستوى الكفاف، لتخفيض تكاليف إدارته، ومع استمرار العمالة، وبذل كمية الطاقة البشرية نفسها، وتناقص الطعام والرداء إلى ما دون حد الكفاف، فكان من المتوقع أن يموت سكان الجيتو خلال ستة أو سبعة أعوام دون اللجوء إلى أى عنف، وكانت هذه الطريقة من أكثر طرق الإبادة رشداً، وعملية، إذ لم يكن يُبدد فيها أى شىء ([3]) .

ونظرت النازية لليهود، كأبناء جنس غريب، وأن اليهودى لن يستطيع أن يصبح ابن للشعب الألمانى([4])، وزادت الاضطهادات النازية ضد اليهود بصورة خطيرة، وشيئاً فشيئاً، أُزيحت أرجلهم من جميع المناصب، وفى عام ١٩٣٥م أُصدرت "قوانين تيرنبرج"، والتى صُنف اليهود فيها حسب منشأهم، وانتمائهم الدينى بصورة أكثر صرامة، وتم التفريق بينهم وبين مواطنى الرايخ

=الصهيونية، بالرغم من أن اليهود لم يكونوا الضحايا من الناحية العددية، حيث قتل النازيون ملايين البولنديين والروس. أنظر: האנציקלופדיה העברית, כרך אחד עשר, שם, עמ' 520 . وأنظر أيضاً: שה-לבן(יוסף), ספרות השואה, הוצאת אור עם, ת"א 1978.

([1]) " أدولف أيخمان אדולף אוטו איכמן" (١٩٠٦م גרמניה-١٩٦٢م רמאלה): قائد وضابط ألمانى نازى، تعلم الجمنازيوم ثم درس فى مدارس فنية، لكنه لم يكمل تعليمه، وخرج للعمل كوالده ضابطاً. كان عضواً فى منظمة عسكرية أسترالية-ألمانية، ثم انضم بعد ذلك للحزب النازى، فكان أحد المسؤلين الكبار فى الرايخ الثالث، وضابط فى القوات الخاصة الألمانية، ومسئولاً عن الترتيبات اللوجستية كرئيس جهاز البوليس السرى "جيستابو"، فى إعداد مستلزمات المدنيين فى معسكرات الاعتقال، كما كان من رؤساء منفذى عمليات إبادة يهود أوروبا، فيما عُرف آنذاك بالحل الأخير. وفى عام ١٩٦٠م تمكن الموساد من تنفيذ عملية اختطافه وترحيله إلى إسرائيل، حيث حوكم، وأدين، وشنق فى عام ١٩٦٢ م، و أحرقت جثته، وألقوا بالرماد فى البحر الأبيض المتوسط. أنظر: האנציקלופדיה העברית, כרך מילואים, שם, עמ' 150

([2]) הרמן(שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), הספריה הציונית, ירושלים, 1979,עמ' 73

([3]) المسيرى(د.عبد الوهاب محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع،مرجع سابق، ص٢٩٠

([4]) האנציקלופדיה העברית , כרך אחד עשר, שם , עמ' 518 .

من الناحية القانونية، وأوقفت كافة أشكال التزاوج بين اليهود وغير اليهود، وفُرضت عليهم مجموعة من العقوبات لمن يُخالف ذلك. ووفقاً لهذه القوانين، أعلنت المدينة فى نهاية عام ١٩٤٣م، أنها أصبحت طاهرة من اليهود (١) .

وخلال الحرب العالمية الثانية، جاء النازيون، وقاموا بتكديس اليهود فى أقسام وأماكن محددة فى مدن معينة، وفى ذلك الحين كان اليهود يُعانون من الفقر المدقع، وكانوا يموتون من المرض والجوع، وكان أكبر هذه الجيتوهات، الجيتو الأكبر فى " وارسو "، ومن تلك الجيتوهات، كانوا يُضربون بالنار، أو يتم إرسالهم لمعسكرات الموت (٢) .

وخلال هذه الفترة أيضاً، ظهرت ظاهرة (اليهود المتخفين)، حيث آثر الكثير من اليهود أن يخفوا هويتهم خوفاً من الاضطهاد النازى، كما أن الفاتيكان أعطى الألوف شهادات تعميد لتسهل لهم عملية الهجرة أو التخفى. وفى الاتحاد السوفيتى(سابقاً) كان من حق المواطن اليهودى أن يُسجل نفسه روسياً أو أوكرانياً إن شاء، أو يهودياً إن فضل ذلك. وقد آثر مئات الألوف تسجيل أنفسهم روساً، ومن أشهر هؤلاء "مادلين أولبرايت" وزيرة الخارجية الأمريكية(سابقاً)، التى أُكتشف أمرها، وكذلك (روبرت ماكسويل) الناشر الإنجليزى (٣) .

إلا إنه ومع ظهور الحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل، فتحت أبوابها للمهاجرين (بخاصة من الدول الغربية،) وقدمت لهم تسهيلات مادية وعينية مختلفة، ومنحاً مالية مباشرة، مما شجع الكثير من اليهود المتخفين إلى تأكيد هويتهم اليهودية المزعومة، حتى يمكنهم تحقيق المزايا المادية (٤) .

وقد أثرت هذه الأحداث على البناء النفسى ليهود الجيتو، وخاصة بعد ما أُشيع وانتشر من روايات عن فتك النازيين ببضعة ملايين من اليهود فى المعسكرات النازية، كانت بمثابة نقطة تحول فى السلوك اليهودى. حيث أن تفسير أى سلوك، إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين، أى نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد فى نهاية الأمر إلى ما يُطلق عليه (هوية الذات) أو (هوية الأنا). ومن الثابت أن هوية الذات إنما هى نتاج عملية التوحد بالآخرين، تلك العمليات التى تعتبر المحور الأساسى فى ميدان علم النفس، وهذا المحور هو محور (الأنا – أنت)، فبقاء الأنا النفسانى، توضع لبناته الأولى على غرار مكونات الأنا لدى من قام على شئون الصغير، أى الأم والأب، وبناء على ما سبق، نستطيع أن نفسر كيف تحول اليهودى من الاستكانة إلى العنف والعدوان، إذ أن ذلك تم عن طريق عملية التوحد الجديدة، فيما يختص

---

(١) האנציקלופדיה העברית , שם , עמ' 523 .

(٢) Roth(Cecil), The concise Jewish encyclopedia, p198

(٣) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودي ؟، مرجع سابق، ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٧ .

بهوية اليهودى في الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهو ما يطلق عليه عملية التوحد بالمعتدي ([1]) .

ومن هنا يمكننا الاتفاق مع ما ذكره د. رشاد الشامى بأنه حدث تحولاً جذرياً على اليهود، بعد تعرضهم لـ "الإبادة الشاملة"، و"التشريد"، فكان المخرج لدى اليهودى هو التوحد فى المعتدى، وهو أن يتحول الحمل ذئباً، وهكذا لايبقى أمامه خطر يخشاه. فقد أثرت الأحداث النازية على الشخصية اليهودية وخلقت موقفاً سلبياً تجاه شخصية يهود الجيتو، المستسلمة، الجبانة، وسعت إلى خلق شخصية نقيضة لها تماماً، وصل إلى حد إتهام الذات اليهودية بالمسئولية أو التقصير ([2]) .

وقد عبر الأدب العبرى عن تلك الأحداث من خلال الكتابات الصحافية والأعمال الأدبية، من قصص وروايات، فنجد على سبيل المثال، يصور الكاتب والصحافى الإسرائيلى"عاموس إيلون" (١٩٢٦-٢٠٠٩)، هذا التحول فى كتابه (الإسرائيليون الأبناء والمؤسسون)، فيقول : "تصور قصة "الليلة הלילה"(١٩٥٤م) لـ"إيلي فيزل"([3])، إرهابياً يهودياً، يبلغ الثامنة عشرة من عمره، يقتل رهينة بريطانية انتقاماً لمقتل زميل إرهابى، وقد حدثت القصة فى أيام الاضطرابات المعادية لبريطانيا فى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا الشاب من الناجين من معسكر بوخنفالد([4])، وهو يرى فى الإرهاب دليلاً على أن اليهود لم يعودوا اليهود الجبناء"([5]).

وقد عبر الأديب الإسرائيلى "عاموس عوز" (١٩٣٩-)، فى روايته (אהבה מאוחרת حب متأخر)([6]) (١٩٧٠)، عن نبوءة أدبية، تعكس الرغبة فى الانتقام ممن اضطهدوا اليهود فى

([1]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص ٣٦٥.

([2]) الشامى (د.رشاد عبد الله) ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص ١٤٢.

([3]) "إيلي فيزل אלי ויזל": صحافى وأديب يهودى-أمريكى، ولد فى رومانيا عام ١٩٢٨م، وهو أحد الناجين من معسكرات الاعتقال النازية، وشارك فى العديد من الأنشطة التعليمية لإحياء ذكرى أحداث النازية حول العالم، درس الفلسفة فى جامعة السوربون، كما قام بتدريس العبرية، كتب فى العديد من الصحف الفرنسية والإسرائيلية،حصل على جائزة نوبل له العديد من المؤلفات والقصص بالفرنسية والعبرية، ومنها: "الليلة הלילה" (1954)، "يهود الصمت יהודי הדממה" (1967)، "مدينة الحظ עיר המזל". نقلاً عن:

http//:ar.wikipedia.org/1/1/2012

([4]) بوخنفالد בוכנוואלד: أحد أكبر معسكرات الاعتقال النازية فى ألمانيا، وظل يعمل فى الفترة من عام ١٩٣٧م وحتى عام ١٩٤٥. نقلاً عن: http//:ar.wikipedia.org/1/1/2012

([5]) الشامى (د.رشاد عبد الله) ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص ١٤٤.

([6]) تتحدث القصة عن حياة أستاذ جامعى إسرائيلى، متقدم فى العمر، يتحدث طيلة القصة عن الخطر الروسى الذى يهدف للقضاء على اليهود، لذلك فهو يحذر اليهود من هذا الخطر، وينوى بينه وبين نفسه أن يتجه إلى كل كيبوتس وإلى كل يهودى كى يخبره بأن الروس اتخذوا قراراً سرياً لتصفية اليهود بصورة نهائية. كما يحذرهم بعدم الانخداع بما يقومون به من تعذيب وإهانات، لأن هذه الأمور هى نفس الأمور التى بدأها هتلر، ومع ذلك نجده لم يترك اليهود وحالهم.

أوروبا، سواء من الروس أو النازيين على حد سواء، فيرى بعينيه كيف يقتحم الجيش الإسرائيلى أرجاء أوروبا، لينتقم للدم المسفوك (١) .

كما أظهر الأدب العبرى المعاناة التى لحقت بالشخصية والهوية اليهودية، أيام الحكم النازى، وتأثيرها على حياة اليهود الناجين منها بعد قيام إسرائيل، وهو ما عبر عنه الأديب الإسرائيلى "كاتستنيك" (٢)، كما فى رواية (الساعة השעון) (١٩٨٩م). حيث يسرد وصفاً تفصيلياً، لما يحدث داخل معسكرات الإعتقال النازية، وما يسبقها من عملية إعتقالات واسعة لليهود بمختلف أعمارهم (٣) .

ومن الأعمال التى كتبت أيضاً عن هذه الأحداث، رواية "פצעי בגרות حب الشباب"(٤) الشباب"(٤) (١٩٦٥)، للأديب الإسرائيلى "حانوخ برطوف" (٥)، وتتناول الرواية بين ثناياها ثلاثة ثلاثة موضوعات رئيسية، عبر برطوف من خلالها عن فكرته الرئيسية، وهى التخبط بين تمسكه بهويته اليهودية الدينية من ناحية، والنفور منها من ناحية أخرى، فى محاولة للبحث عن هوية جديدة والموضوعات الثلاثة هى:

الموضوع الاول : وهو الانتقام من الألمان، وهل هناك معنى لهذا الانتقام؟ وهل مثل هذا الانتقام سيكون له نتيجة معينة أم لا ؟

الموضوع الثانى : وهو الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتنظيمها والإشراف عليها.

الموضوع الثالث : وهو الهوية (٦).

---

(١) الشامى (د.رشاد عبد الله) ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ، المرجع السابق، ص ١٤٦ .

(٢) " ק. צטניק كاتستنيك " وهو الإسم الأدبى ليحيئيل بن أفراهام دينور، وهو إختصار لكلمة ألمانية " سجين معسكر الإعتقال " ،والتى كانت كنية معروفة بين السجناء فى المعسكرات. وُلد فى بولندا ١٩١٧، من أسرة حسيدية، وخلال الإحتلال النازى لبولندا، عاش فى الجيتو أولاً ، ثم إنتقل لمعسكرات النازية، ولكنه إستطاع أن يهرب إلى إسرائيل بعد ذلك. وقد كرس إنتاجه الأدبى، على مدى أربعين عاما، للكتابة عن تجاربه فى المعسكرات، ومصير شقيقه وشقيقته وزوجته، الذين لقوا حتفهم فى المحرقة، والنضال من أجل بناء حياة جديدة فى إسرائيل . نقلاً عن: http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon 1/1/2010

(٣) الإتربى (محمد السيد العراقى)، الذات والآخر فى أدب أحداث النازى-أهارون أبلفلد نموذجا، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٠، ص ٦٦ .

(٤) تدور أحداث الرواية حول ذكريات الجندى، اليهودى الفلسطينى، "اليشع كروك"، فى إحدى الكتائب اليهودية اليهودية التى شاركت فى الحرب إلى جنب الجيش البريطانى، وهو أحد اليهود الهاربين من النازى، ولكن دون أن يترك هذا الأمر عليه أى تأثير، فهو شخصية سلبية تنظر إلى الأحداث من الخارج ولا تشارك فيها، ولكنه فى ذات الوقت إيجابى فى الدفاع عن بعض القيم الأخلاقية. ويتساءل فى الرواية عن جدوى الانتقام من النازيين من جراء ما فعلوه باليهود.

(٥) حانوخ برطوف חנוך ברטוב (١٩٢٦-) : روائى وكاتب مسرحى وصحافى ، ولد فى "بتاح تكفاه" عام ١٩٢٦ ، خدم فى لواء الجيش البريطانى وخاض أيضاً حرب ١٩٤٨. نشر عشر روايات، وست مجموعات من القصص القصيرة، وحصل على عدة جوائز منها : وجائزة بياليك- ١٩٨٥. من أعماله: ، " السوق الصغير" (١٩٥٧) ، " قلب الحكيم " (١٩٦٢) ، " الأخت البعيدة " (١٩٧٣) " الحساب والروح" (١٩٨٨). أنظر : Hebrew writers, General Directory of Hebrew writers ,p. 26

(٦)الإتربى(محمد السيد العراقى)،الذات والآخر فى أدب أحداث النازى، مرجع سابق، ص٩٠ .

وهناك أيضا أعمال أدبية عن هذه الأحداث مثل رواية (ليس من الآن ولا من هنا לא מעכשיו ולא מכאן) (١٩٦٣)، للأديب الإسرائيلى "يهودا عميحاى"([١])، والتى تصور الخوف، والأمل، واليأس، التى يشترك فيها الهاربون من أحداث النازى، ومن الواقع الإسرائيلى، إلى الماضى، للتنقيب فيه عن الهوية المفقودة، التى فقدت بلغم قتل بطل الرواية يوئيل في النهاية، والذى هو رمز لفقدان الهوية الإسرائيلية ([٢]) .

خلق هذا الاضطهاد حاجزاً نفسياً بين اليهود والشعوب الأخرى. وذلك الذى صوره الأدباء فى أعمالهم الأدبية، والذى تحول إلى عقدة نفسية، أدت باليهود إلى محاولة تعويض هذه العقدة، بخلق هوية عرقية خاصة بهم فى "الشتات".

الهوية العرقية فى "الشتات" :

اتخذت عقدة الانفصال عن البشر والامتياز على أمم العالم طريقها إلى النفسية اليهودية، وأصبحت عاملاً أساسياً فى تكوين شخصية هذه الطائفة منذ القدم، عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التى تضخمت مع الزمن، خاصة فى الفترة التى تُسمى عندهم "الشتات" أو "دياسبورا"([٣])، حيث التفرق فى الأرض، والذهاب فيها أشتاتاً .

وقد أعلن الصهاينة عن دعاواهم العنصرية، واعتقادهم أنهم جماعة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى، من حيث نقائهم وراثياً، فيذكر المفكر الصهيونى "موسى هيس" (١٨١٢م–١٨٧٥م) فى كتابه "روما والقدس" بأن "الجنس اليهودى" من أقدم وأعرق الأجناس البشرية، وإليه ترجع وحدة اليهود، لأن "الجنس اليهودى"، حفظ صفاءه عبر القرون ([٤]) . لذا فإن فإن التعصب العنصرى حول الأسطورة الخاصة بالأعراق والأنساب تمثل مقوماً رئيساً للشخصية اليهودية .

([١]) "يهودا عميحاى יהודה עמיחי" (١٩٢٤-٢٠٠٠): ولد فى ألمانيا، وهاجر مع والديه إلى فلسطين عام ١٩٣٥م، أكمل دراسته الثانوية فى القدس ١٩٤٢م، اشترك فى حرب ١٩٤٨م. درس الأدب، ودراسات المقرا فى الجامعة العبرية، وإلى جانب القصائد الشعرية التى نشرها، فقد نشر روايتين، وكذلك مجموعة من القصص، وكتب للأطفال، وعدد قليل من المسرحيات، فاز بعدة جوائز منها: جائزة برنر عام ١٩٦٩م، وجائزة بياليك عام ١٩٧٦م، وجائزة إسرائيل للشعر العبرى عام ١٩٨٢م. ومن أعماله: مسرحية"رحلة إلى نينوى מסע לנינוה" (1962)، قصص "بهذه الروح المفزعة ברוח הנוראה הזאת" (1974)، قصائد "أشعار حب שירי אהבה" (1981)،نقلاً عن: http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/ 1/1/2012

([٢]) الإتربى (محمد السيد العراقى)، الذات والآخر فى أدب أحداث النازى، مرجع سابق، ص ٩٦ .

([٣]) "دياسبورا" : كلمة يونانية الأصل تعنى "الشتات"، وقد استخدمت للإشارة إلى الأقليات اليهودية فى العالم، وهى مرادفة لكلمة "المنفى" فى التراث اليهودى الصهيونى. أنظر: الشامى(د. رشاد عبد الله)، لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٤م، ص٥٦ .

([٤]) فهمى (وليم)، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م، ص١٨ .

ولابد أن نأخذ فى الاعتبار، أن هناك علاقة حتمية بين الدراسة الأنثروبولوجية([1]) الصرفة، وبين الجانب السياسى، كما يتمثل فى الأطماع السياسية، كما ينبغى أن نُدرك أن الصهيونية السياسية، تُسخر الأبحاث ونتائجها مُسبقاً، بحيث تخدم دعاواهم الاستعمارية فى فلسطين، والتأكيد على "النقاوة الجنسية" لليهود، وأنهم ظلوا بمنأى عن الاختلاط الدموى مع الشعوب التى انتشروا بينها. ومن ثم فهم يُشكلون هوية واحدة ذات مجموعة جنسية واحدة، وقومية تاريخية واحدة، مثلما هم طائفة دينية واحدة، ونتيجة لذلك فقد كان هناك إتجاهين: إحداهما يرى اليهود متميزين مختلفين فى صفاتهم الجنسية عن السكان المحيطين بهم، وبالتالى يؤلفون عبر العالم وحدة جنسية واحدة. أما الإتجاه الثانى: فيراهم صورة مقربة من السكان المحيطين فى كل مكان، وانعكاساً لتركيبهم وتكوينهم الجنسى، ومن ثَم لا يؤلفون إلا وحدة دينية، لا جنسية أو جينية ([2]) .

تؤكد جميع البحوث الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية أن اليهودى يُعتبر من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصرى الذى يدعيه، وفى ذلك يقول العلاّمة السويسرى "أوجين بيتار": "إن جميع اليهود فى نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدعيه، بعيدون عن الانتماء إلى (جنس يهودى) "([3]) فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها فى كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر ([4]).

وعلى جانب آخر، يمكن القول أن أكثر ما يدحض فكرة النقاء العنصرى الخاص باليهود وحدهم، هو أن اليهود قد تأثروا بلون بشرة جيرانهم، واكتسبوا صفاتهم الجسدية عندما تزوج بعضهم من غير اليهود، خلال العصور الطويلة التى عاشوا فيها فى مختلف البلاد، نتيجة طبيعية لهجراتهم المستمرة عبر التاريخ وعلاقاتهم، طوعاً أو كرهاً، بعدد كبير جداً من الشعوب، قد عرضتهم لقدر كبير جداً من التهجين، أى التزاوج مع سلالات مختلفة، ويكفى للتدليل على ذلك، مقارنة يهودى أمريكى قوى الجسم، ويهودى سالونيكا البراق العينين الهزيل الجسم ([5]).

([1]) الأنثروبولوجيا: هى علم الإنسان، ونُحتت من الكلمتين اليونانيتين وهما: (anthropos) ومعناها (الإنسان)، و(logos) ومعناها "علم"، وعليه فإن المعنى اللفظى لإصطلاح الأنثروبولوجيا هو " علم الإنسان"، والذى يُعنى بأصل الجنس البشرى، وتطوره، وعاداته، وتقاليده، ودراسة العناصر البشرية المعاصرة، وصفاتها، وأوصافها الجسمية المختلفة، وتتنوع الأنثروبولوجيا ما بين أنثروبولوجيا طبيعية، وإجتماعية، وحضارية . نقلاً عن:
http://ar.wikipedia.org1/5/2010

([2]) حمدان (د. جمال)، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٥٢-٥٣

([3]) ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص٣٥ .

([4]) من أمثال هذه الشعوب، يهود الفلاشاه، ويهود التاميل، ويهود مملكة الخزر وغيرهم...(راجع الباب الثانى- الفصل الأول).

([5]) العكش (د. سعيد عبد السلام)، الزواج المختلط بين التشريع والواقع اليهودى، دار الثقافة العربية، القاهرة٢٠٠٤م ، ص١١٢ .

وبالرغم من العزلة اليهودية، والتزمت الدينى داخل الجيتو، إلا أن ممارسة الزيجات المختلطة استمرت، واندمج الكثير منهم بالوسط الذى يعيشون فيه، حتى فى أحلك الظروف التى مروا بها أيام الحكم النازى فى ألمانيا، سارع الكثير منهم إضفاء صفة الشرعية على علاقاتهم بالألمان (١)، وهذا يدل أن اليهود اختلطت دمائهم بدماء الشعوب الأخرى على مر العصور، حتى فى فترات الاضطهاد وعدم الاستقرار، مما أفقدهم ما يدعونه من نقاء الجنس اليهودى.

أما بالنسبة للون البشرة، فليس هناك نمط موحد بين اليهود، فهم بين سفارديم البحر المتوسط والشرقيين بيض مشربون بسمرة خفيفة، أما فى اليمن، فهم بدوا أفتح قليلاً من اليمنيين، وهو ما يعود لطبيعة حياتهم فى الظل بعيداً عن العمل فى الخلاء. أما فى أوروبا، فلا يختلف الأشكناز عن الأوروبيين فى لون البشرة، وعلى النقيض من هؤلاء البيض، فثمة "اليهود السود" الذين يقعون خارج التقسيم الثلاثى لليهود، إلى أشكناز، وسفارديم، وشرقيين، من هؤلاء الفلاشاه فى شمال الحبشة، وهم إلى حد كبير متزنجون، ويتكلمون لغة الأجاو الكوشية القديمة (٢) .

ويفند "رينان" ما يُقال عن وجود " سحنة يهودية " بعينها يمكن بها التعرف على اليهودى، بقوله: "لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية" (٣).

وليس هناك أصح من قوله هذا، فنحن لا نستطيع أن نعتبر اليهود الحاليين مكونين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد. ويؤكد ذلك "د. جمال حمدان" بقوله أنه من المحقق علمياً، أنه لاتوجد "سحنة يهودية" عند كل اليهود، فهى إن كانت موجودة عند بعض الأشكناز فى أوروبا، فإنها تكاد لا تُعرف فى أشكناز أمريكا، ومن ثم فهى كثيراً ما تخدع الرائى فى التشخيص، فيأخذ غير اليهودى على أنه يهودى، واليهودى على أنه غير يهودى، وإذا كانت هذه النظرة أو المسحة تتركز بطريقة ما، حول العينين والأنف، فإنه من الصعب تحديدها وقياسها (٤) .

ويضيف "د. جمال حمدان" بأنه لا يمكننا أن نجد مجتمعاً يهودياً واحداً أفلت من الاختلاط البيولوجى مع غيره من المجتمعات، ولهذا لا نستطيع أن نفترض، أن أى جماعة من اليهود، شرقيين أو غير شرقيين، تمثل تمثيلاً صادقاً ليهود فلسطين أيام المسيح، رغم أنه يُستثنى طائفة السامريين(٥) ويقول: " لعل السامريين هم المجموعة الوحيدة من اليهود، التى يتفق الجميع

---

(١) العكش (د. سعيد عبد السلام)، الزواج المختلط بين التشريع والواقع اليهودى، المرجع السابق، ص١٢٩.

(٢) حمدان (د. جمال) ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٣) ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص٣٥ .

(٤) حمدان (د. جمال) ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٥) السامريون: فرقة صغيرة فقيرة، ينتسبون إلى مدينة السامرة القديمة، عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة على عرش سليمان (عليه السلام) بعد وفاته، والتى كانوا يعيشون حولها، وكانت تُسمى قبل أن تطرق أقدام العبريين أو اليهود فلسطين، مدينة "شكيم"، ويشرق عليها جبل مقدس اسمه جبل "جرزيم"، ويزعم السامريون أنهم البقية الباقية على الدين الصحيح، حيث يؤمنون بإله واحد، وأن موسى (عليه السلام) رسول الله، ويؤمنون بالتوراة، ولا يؤمنون بداود وسليمان (عليهم السلام)، وأن "جبل جرزيم" هو القبلة الحقيقية الوحيدة لبنى إسرائيل، وهم يرفضون الصهيونية، ويعتبرون "جبل صهيون" الذى اتخذه داود ومن بعده سليمان قلعة لهما، أنه بمثابة قاعدة=

الجميع أنها ظلت فى فلسطين، طوال التاريخ وحتى يومنا هذا، فى عزلة كاملة، وتزاوج داخلى ضيق، وفى نقاوة لا شك فيها، كما إنهم يمثلون العرق اليهودى الفلسطينى الأصلى القديم" (١) .

ومن هنا يمكننا القول أن تلك المجموعة من الصفات الجسمية المنسوبة لليهود، أو الملاحَظة فيهم، لا تدل على الأصل العرقى، ولا تحل المشكلة. وهى إن دلت على شىء، فإنما تدل على انعدام أية وحدة بين يهود العالم فى تللك الصفات، وبالتالى لا يمكن الإعتماد عليها، عند تحديد هوية اليهود فى الشتات .

أما بالنسبة للمفهوم السياسى للهوية العرقية، فنجد أن هناك اختلاف عميق بين مفهومي، (الأقلية القومية)، وبين (الوحدة العرقية)، فعلى سبيل المثال نجد أن الأيرلنديين فى أيرلندا ينتمون إلى أمه حرة، بينما الأيرلنديين فى بريطانيا يُعدون كأقلية قومية محرومة، أما الأيرلنديين فى أمريكا يُشكلون وحدة إثنية أو عرقية كمواطنين أمريكيين متساويين فى الحقوق، فى كل شىء (ليس لديهم شكاوى الأقلية القومية)، فلا توجد مسألة التسميات هناك، فيمكن أن نطلق على (الأقلية القومية) أنها (وحدة عرقية أو أثنية) أو العكس. وتُعد هذه هى مسألة التمييز بين الموقف السياسى، وموقف الأصل القومى والثقافى، أو الانتماء الدينى، لذلك فإن من عقوبة من يرتكب الفاحشة من بين من ينتمون للأقلية القومية، لا يمكن أن ينطبق على الجماعة الإثنية أو العرقية. فيهود الولايات المتحدة لهم وضع سياسى يختلف عن الآخرين، مثلهم فى ذلك مثل الأيرلنديين فى الولايات المتحدة، إلا أن التفريق بين الأقلية القومية والموقف السياسى لا يمكن تطبيقه على وضع اليهود فى الإتحاد السوفيتى(السابق)، حيث هناك وُجدوا فى وضع سياسى مُعترف به كأقلية قومية، وبالتالى محرومة من المساواة فى الحقوق (٢) .

وإذا كان البعض قد حاول اختلاق "هوية عرقية" لليهود، فإننا نجدهم أيضاً حاولوا اعتبار اللغة إحدى ركائز التعبير عن الهوية، فقد اعتبرت قضية الهوية اللغوية موضوعاً جوهرياً بين اليهود قبل إقامة دولة إسرائيل، فى الشتات، وبعد قيامها أيضاً، إن الرابط بين اللغة والهوية يختلف باختلاف الأوضاع والسياقات الاجتماعية المتعلقة بالجماعات اللغوية المقصودة، وهذا يعنى أن أهمية اللغة بالإمكان أن تزداد أو تقل بالنسبة للمجموعة نفسها، حسب الظروف والسياقات الاجتماعية (٣) .

=الكفر بالنسبة للصهاينة. أنظر: ظاظا(د. حسن)، الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه، معهد الدراسات العربية، ١٩٧٥م، ص٢٤٧ .

(١) حمدان (د. جمال) ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢) אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, מהדורה שניה, אוניברסיטת תל- אביב 1993, עמ' 196.

(٣) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص١٩.

دور اللغة فى تشكيل هوية اليهود :

وشكلت اللغة العبرية أهمية خاصة عند اليهود على مر العصور، حيث كانوا يعتبرونها لغة مقدسة، دُونت بها التوراة والنتاجات الدينية والأدبية، ومع مضى الزمن، فاليهود عرَّفوا هويتهم استناداً على بعض العناصر المشتركة فى تاريخهم كالديانة اليهودية، واللغة العبرية، كما أن معرفة اللغة العبرية كلغة الدين والتثقيف خلال العصور الغابرة، عززت الشعور بالانتماء تجاه اليهودية ([1]) .

وقد ظلت اللغة العبرية فى مكانتها، إلى أن تم خراب الهيكل الثانى ٧٠م، وانتشار اليهود بين دول العالم، وهو ما أدى إلى توقف اللغة العبرية كلغة محكية على مدار ١٧٠٠عام، واقتصر استخدامها على الشئون الدينية فقط، وأصبحت العبرية لغة ميتة، وحل محلها لغة الأمم التى عاش اليهود بينها ([2]) .

وفى الفترات التى عاش فيها اليهود فى الجيتو، اختلفت لغتهم باختلاف المكان الذى عاشوا فيه، ولكن نتيجة للعزلة التى فرضوها على أنفسهم، ورغبة منهم فى التحدث بلغة لا يعرفها الشعوب التى تضطهدهم، فقد عملوا على خلق لغة عبرية مختلفة عن تلك اللغة العبرية التى كانت تُستخدم فى المعابد، فظهرت االعديد من اللغات المختلطة، بين العبرية، والآرامية، والألمانية، والتى أُطلق عليها لغة "اليديش"([3])، ومن اللغات أيضاً ماجمع بين العبرية والعربية والتركية وتُسمى "اللادينو" ، والتى انتشرت ببين يهود أسبانيا، ولغة "روتولش Rotwlsch" وهى جمعت بين الألمانية والعبرية والسريانية، وهى لغة النصابين والمتسولين وقطاع الطرق فى ألمانيا، لغة "كدرولش" وهي اللغة الخاصة بفئة التجار والصيارفة اليهود أجادوها تماماً، وكانوا يتعاملون بها مع بعضهم البعض، لغة "الجاجتاى" وهى لغة الخزر التركية التى تحدثت بها الطائفة اليهودية فى دولة الخزر، والتى ظهرت فى القرن الثامن، واللغة "الجعزية" وهى لغة حبشية قديمة تحدثت بها طائفة الفلاشا اليهودية التى عاشت فى الحبشة، وكُتب بها العهد القديم، واللغة "الأمهرية" وهى اللغة التى تحدثت بها طائفة الفلاشا أيضا، وهى اللغة الأكثر انتشاراً، ولغة الدولة الرسمية في الحبشة ([4]) .

([1]) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، المرجع السابق، ص ٣٢.

([2]) المرجع السابق، ص ٣٧ .

([3]) اليديش יידיש-אידיש: هى لغة اليهود فى شرق أوروبا، وهى خليط من العبرية والآرامية والألمانية وبعض الكلمات السلافية وتكتب بالخط العبرى. وقد نشأت فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر، وحملها اليهود معهم إلى بولندا وروسيا حينما هاجروا إلى هناك فى القرن الخامس عشر، وأنتج بهذه اللغة أدب متنوع، ما بين شعر وقصة ورواية ومسرح. أنظر: العكش(د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب،مرجع سابق، ص٥٣٢.

([4]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

وعلى الرغم من أن كل جماعة يهودية كانت منفصلة عن محيطها، فإنها كانت تحدد هويتها من خلاله، كما أن انفصالها عن محيطها لايعنى بالضرورة اتصالها بأعضاء الجماعات اليهودية الأخرى، فاليديشيه الجرمانية كانت تعزل أعضاء الجماعة اليهودية عن محيطهم الثقافى السلافى فى بولندا، ولكنها مع هذا لم تكن لها أية علاقة باللادينو التى كانت تعزل يهود السفارد عن محيطهم العربى الإسلامى فى الدولة العثمانية، أما العبرية، وهى اللغة الوحيدة المشتركة، فقد ظلت من ناحية الأساس لغة الصلاة، واللغة التى كُتبت بها النصوص الدينية وحسب، أى أن العنصر المشترك لم يتعد فى جوهره الصلوات والعبادات وبعض المؤلفات، وظلت العلاقة بين أعضاء الجماعات اليهودية علاقة دينية أو وظيفية باعتبارهم أعضاء فى الجماعة الدينية نفسها، أو أعضاء فى جماعات تضطلع بالوظيفة نفسها فى كثير من المجتمعات. وعلى كلٍ، لم تكن الرابطة الدينية بمعزل عن الوظيفة الاقتصادية أو الاجتماعية تماماً، إذ أن الجماعة الوظيفية تضرب حول نفسها العزلة، ويساعدها فى ذلك المجتمع المضيف (١) .

وإذا كانت اللغة هى إحدى محددات الهوية، فبالنظر إلى تاريخ أسرة واحدة فى إسرائيل، نجد أن تاريخها ينتمى إلى ثلاثة أجيال مختلفة، بثلاث لغات، وبالتالى ثلاث هويات مختلفة، شكلت مراحل هامة من مراحل تاريخ التكيف والاندماج فى "الشتات"، فتاريخ أسر معظم المهاجرين من جنوب أفريقيا الذين يعيشون فى إسرائيل الآن، مثال لطبيعة المتجولين اليهود: آباءهم جاءوا من إلى جنوب أفريقيا من ليتوانيا، ولغة أمهم كانت اليديشية، وهم أنفسهم وُلدوا فى جنوب أفريقيا، ولغة أمهم كانت الإنجليزية، وأولادهم الذين وُلدوا فى إسرائيل بالطبع يتحدثون العبرية. إنهم ثلاثة أجيال، ثلاث دول، وثلاثة أجيال... (٢) .

وإذا كانت اللغة تُعد من الأساسيات المكونة لأية هوية، فتعتبر "اليديشية" من اللغات التى أنتجها اليهود وتحدثوا بها أثناء فترة إقامتهم فى شرق أوروبا، وكانت محوراً هاماً ارتكزت عليه حياتهم فى "الشتات"، حتى ظن البعض منهم أنها وريثة العبرية، وأنها تُمثل "هوية " فى حد ذاتها، سوف تجمع اليهود فى "الشتات".

حيث تشير الأدبيات الصهيونية والغربية، حينما تتحدث عن الشخصية اليهودية أو الهوية اليهودية، إلى تجربة تاريخية محددة هى تجربة يهود اليديشية، أى الجماعة اليهودية فى شرق أوروبا، والتى كانت تشكل جماعات وظيفية يتحدث أعضاؤها اليديشية، ويعيشون فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية نفسها، وفى المحيط الحضارى المسيحى نفسه، وهو ما أفرز شخصية يهودية شرق أوروبية، يمكن أن تُسمى "الشخصية اليديشية"، تتحد ملامحها لا من خلال تشكيل تاريخى يهودى عالمى، وإنما من خلال التشكيل الحضارى الشرق أوروبى. وقد

---

(١) المسيرى (د.عبد الوهاب)،تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 56 .

أكد "آرثر روبين"([1]) فى كتابه "اليهود فى الوقت الحاضر"، أن كلمة يهودى تعنى بالنسبة إليه "أشكنازى"، ولا تضم اليهود السفارد أو الشرقيين، إلا أنه وبالرغم من أن يهود الييديشية كانوا يشكلون الغالبية الساحقة من الجماعات اليهودية في العالم في نهاية القرن التاسع عشر(٨٠%)، إلا أن هذا لا يجعل منهم شخصية يهودية عالمية، وإنما هى ثمرة تفاعل الجماعات اليهودية مع المجتمع الشرق أوروبى فى بولندا وروسيا، داخل تركيبة ثقافية واجتماعية محددة، وهو ما أدى بعد ذلك إلى اندثارها، نتيجة التحولات الاجتماعية الضخمة التى حدثت فى مجتمعات شرق أوروبا ([2]) .

فقد كان الأشكنازيم هم الأكثر دراية "بالمشكلة اليهودية" فى "الشتات"، فقد عرفها، وعانى تجربتها بأشكال مختلفة، وفى أوقات متعددة. عرفها كصراع ثقافى بين الفكر، والقيم المعاصرة، والعقيدة اليهودية التقليدية، وكصراع داخلى بين الرغبة فى الاندماج بالمجتمع، من ناحية، والخوف على ضياع هويته اليهودية، من ناحية أخرى، ثم كصراع خارجى بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه ([3]) .

على الرغم من أن اليهود فى دول العالم لم تتوفر لهم الشروط الواجب توافرها لخلق هويات مثل هويات تلك الدول التى عاشوا فيها ، نجد أن فى مراكز الثقافة اليهودية التى سبقت النكبة، قد ظهر فيها تعبير مهم للهوية اليهودية، هذا التعبير، الذى منحها خصوصيات، هو اللغة اليهودية الخاصة أو لغة الييدش ([4]) .

وكان التيار الييديشى الخاص بدعاة الحكم الذاتى (على غرار إنشاء منطقة حكم ذاتى يهودى فى "مدغشقر"(قبالة الساحل الجنوبى الشرق لأفريقيا)، وهى الفكرة التى تسلت بها النازية بعد ذلك، قبل أن يتخذوا قرارهم "بالحل النهائى"، أو على غرار ما قام به أديب الييديشية "ميلخ رأوفيتش"، حيث بحث عن منطقة مناسبة لإقامة حكم ذاتى يهودى فى أستراليا)، يهدف إلى التوصل إلى حل لمشكلة اليهود فى نفس مكان وجودهم، وضمن واقعهم الملموس، وبلغتهم المستخدمة، دون أية نية لإستبدالهم بشعب أسطورى آخر، ودون أى حنين إلى ماضى لم يعد له وجود منذ ألفي عام ([5]) .

([1]) آرثر روبين (١٨٧٦-١٩٤٣) عالم اقتصاد واجتماع، وقائد صهيوني ومنظم المستوطنات الزراعية في فلسطين. التحق آرثر روبين بالمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٠٥ وطُلِب منه أن يذهب إلى فلسطين ليبحث حالة المستوطنات اليهودية، وكانت تلك الرحلة نقطة تحول في حياته حيث كرس كل جهوده بعد ذلك لتطوير المستوطنات اليهودية. بعد الثورة العربية عام ١٩٢٩ (ثورة البراق) حارب بشدة من أجل زيادة الهجرة إلى فلسطين وزاد نشاطه في حركة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بكل الطرق.نقلاً عن:

http://ar.wikipedia.org/wiki1/5/2011/

([2]) المسيرى (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودى ؟، مرجع سابق، ص ١٢.

([3]) الشامى (د.رشاد عبد الله)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص ٩٠.

([4]) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 47.

([5]) الشامي(د.رشاد عبد الله) ، إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص٦٢.

وشكلت اليديشية خطراً على اللغة العبرية كلغة قومية للأمة اليهودية، إذ سخَر متحدوثها، من دعاة إحياء العبرية، واعتبروا اليديش وريثة العبرية، كلغة موحدة لجميع أسباط إسرائيل. وقد تزعم هذا التوجه شعراء وأدباء فى مؤتمر عقدوه فى أوروبا عام ١٩٠٨م، وهذه القضية شغلت فكر مناصرى إحياء العبرية، وتصدوا لها بشدة، بإعتبارها لغة شتات. فى النهاية إنتصر مؤيدو العبرية، وتوقف المؤلفون عن نشر كتاباتهم باليديش، وتحولوا إلى العبرية (١) .

وقد إزدهرت اليديشية بين اليهود الغربيين فى "الشتات"، وتحدث الأطفال باليديشية فى جيتوهات ألمانيا. حيث ينشأ الأطفال لا يتعلمون لغةً سواها، مما زرع بذور الشك فى نفوس الجماهير التى لا تفهم هذه اللغة، فإذا أراد أحدهم أن يتعلم لغة أخرى، لم يكن يُسمح له إلا باللغة العبرية، وحتى هذه كان البعض ينظر إليها بإعتبارها لغة مقدسة، وأن مجرد النظر إلى أبجديات الشعوب الأخرى يُعد كفراً وزندقة يستحق اليهودى بسببها أن تُفقأ عيناه (٢) .

أما الآن فاليهود فى ما يُسمى "الشتات" يعرفون فقط لغة الشعوب التى يعيشون فيها، أما فى إسرائيل فقد إتخذت العبرية مكانتها هناك، وحتى الآن لم يفلحوا فى استخدام لغتهم الثانية "اليديشية"، الخاصة بيهود "الشتات" (٣) .

وكانت هناك حرب بين العبرية واليديش حول اللغة التى ستكون اللغة القومية والرسمية للوجود اليهودى–الصهيونى فى فلسطين، ومن بعد ذلك فى إسرائيل (٤) .

ومحاربة اليديش بدأت فى أوروبا فى فترة إحياء اللغة العبرية، لأن هذه اللغة عملت على إبعاد اليهودى عن جذوره اللغوية. واستمرت محاربة اللغات بعد قيام الدولة. وفى العقدين الآخيرين حُسمت المعركة نهائياً لصالح اللغة العبرية. الأمر الذى اقتضى تغيير التوجه اللغوى. هذا التوجه تمحور فى توظيف اللغة العبرية لبلورة بناء الشخصية الإسرائيلية على الأسس الاجتماعية. بينما فى فترة الإحياء تركزت بناء الشخصية اليهودية على أسس المشاعر القومية. على سبيل المثال تلاشت فى الآونة الأخيرة، قضية تغيير الأسماء إلى العبرية، فكل مهاجر يحتفظ باسمه الذى قدم به دون الحاجة إلى تغييره. هذه الظاهرة بارزة بشكلٍ واضح لدى القادمين الروس الجدد، فمن خلال ذكر اسم الفرد تستطيع أن تُخمن مكان مسقط رأسه (٥) .

---

(١) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) المسيرى (د. عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٣٤٣ . وأنظر أيضاً: أبو خضرة (د. زين العابدين) ، "إشكالية الهوية في القصة القصيرة"، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٨٦ .

(٣) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 48.

(٤) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٧.

وتعتبر "الهوية اليديشية" أو "الهوية اليهودية الشرق أوروبية"، قد انبثقت عن مبادىء "قومية الدياسبورا"، حيث يرى دعاة قومية الدياسبورا أن اللغة التى تعبر عن هذه الهوية اليهودية ليست العبرية وإنما اليديشية، وحينما أُستأنفت الثورة البلشفية([1]) عملية التحديث فى روسيا ناصبت حزب البوند العداء لأسباب سياسية فى البداية، كما رفضت تصوره للهوية اليهودية المحدودة الشرق أوروبية، ولكنها عادت فى الثلاثينيات واعترفت بها، وبلغتها المستقلة، وبشخصيتها الثقافية المستقلة، التى يمكن أن تتحقق داخل الإطار السوفيتى (روسيا الآن) وإنطلاقاً من ذلك حددت مقاطعة "بيروبيجان" كمقاطعة مستقلة لغتها الرسمية اليديشية، وكان بإمكان هذه المقاطعة من الناحية النظرية، أن تتحول إلى جمهورية مستقلة داخل أنحاء الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية (السابقة) لو هاجر إليها عدد كاف من اليهود. وقد ظلت الهوية اليديشية مزدهره فى الفجوة الزمنية بين تعثر التحديث واستئنافه فى الاتحاد السوفيتى(السابق)، وبين هجرة يهود شرق أوروبا إلى الولايات المتحدة واندماجهم فيها، والذى يرجع على وجه التقريب بين بداية القرن العشرين وأواخر الأربعينيات، ولكن سرعان ما تآكلت الهوية اليديشية سريعاً مع تصاعد معدلات التحديث والعلمنه، كما ساهم النازيون فى القضاء على البقية الباقية من هذه الهوية، ومع الستينيات لم يعد ل"لهوية اليديشية" من أثر فى العالم ([2]) .

وإذا كانت اللغة إحدى ركائز الهوية، فإن الدين أيضاً لا يقل أهمية عن اللغة، عند تشكيل هوية أى فرد أو جماعة، وهو الأمر الذى يعتمد عليه اليهود فى ادعائهم الحفاظ على هويتهم الدينية على مر العصور.

الدين كمحدد لـ "لهوية اليهودية" :

ولذلك فقد كانت السمة الرئيسة لهوية اليهود فى دول العالم، هى الإطار الدينى لا أكثر، وتتأسس ركائز هذه الهوية على التراث الدينى، والتوراة. وفى ذلك يقول "يونابن ساسون": "إن الهوية الدينية لصيقة باليهود منذ القدم، وحتى "الشتات" اليهودى، بل أثناءه وإلى الآن أيضاً، وهناك اتفاق على أن هذه الهوية لها جذور تاريخية بالنسبة لليهود، وبالطبع فإنها تميزهم كجماعات بشرية، بل إن عنصر الدين اليهودى – العقيدة والتوراة – هما سر بروز الهوية الدينية كهوية تميز جماعات اليهود فى أنحاء العالم. إذن فالهوية الدينية لم يكن لها ثمة علاقة بالقومية، بل تعيش فى إطار تقاليدهم الدينية بجمودها وتزمتها، وظلت حبيسة الكيانات اليهودية الصغيرة والمغلقة، التى درج اليهود على إقامتها والانزواء بداخلها، وكانت سمتها الرئيسية الانعزال عن

([1]) الثورة البلشفية أو ثورة أكتوبر كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام ١٩١٧م قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين ويده اليمنى جوزيف ستالين وكامل الحزب البلشفى والجماهير العمالية بناءً على أفكار كارل ماركس وتطوير فلاديمير لينين؛ لإقامة دولة اشتراكية وإسقاط الحكومة المؤقتة. وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية فى القرن العشرين. نقلاً عن: http://ar.wikipedia.org/wiki /1/1/2012

([2]) المسيرى (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودى ؟، مرجع سابق، ص٦٢.

المجتمعات التى عاشوا بينها، بدءاً من مصر القديمة، حيث كانوا يعيشون فى أرض جاسان، وهى أولى محاولاتهم للانفصال عن المجتمع، وما تلا ذلك من محاولات مماثلة على ضفتى دجلة إبان السبى البابلى، وما تبعه فى العصور الوسطى، ووصولاً إلى الشتتل([1])، والقاهال([2])، والجيتو، وحارات اليهود فى العصور الوسطى والحديثة، وكان الجيتو أهم هذه الكيانات على الإطلاق ([3]) .

ويرى اليهود أن هويتهم تكمن فى تمسكهم بيهوديتهم، وأن عدم وجود وطن خاص بهم لا يُعد نقطة ضعف وإنما يُعد سر العظمة اليهودية ([4]) .

ويقول "ول ديورانت" " أن الرجل اليهودى فى العصور الوسطى كان يقبل الشريعة بوجه عام ويتخذها درعاً لا يقيه اللعنة الأبدية فحسب، بل يقيه فوق ذلك وبصفة أظهر للعيان تفكك جماعاته وانحلالها. نعم إنها كانت تضيق عليه فى جميع مناحى الحياة، ولكنه كان يعظمها لأنها موطن نشأته، ومدرسة تربيته، والوسيلة التى لابد لها من حياته. فقد كان كل بيت فى بلاد اليهود كنيساً، وكل مدرسة معبداً، وكل أب كاهناً. فصلوات الكنيس وطقوسه كان لها مثيلات موجزة فى البيت. وكان الصوم والأعياد الدينية يُحتفل بها فى إحتفالات تعليمية تربط الماضى بالحاضر والأحياء بالأموات وبمن لم يولدوا بعد" ([5]) .

ومنذ عصر تمرد بركوخبا([6]) وحتى ظهور الصهيونية كان يتم التعبير عن المفهوم السياسي الرئيسى لليهودية من خلال العهود التلمودية الثلاثة التى أمر بها الرب، ويمكن إيجازها

([1]) الشتتل "שטעטל": كلمة تصغير ييدشية مشتقة من أصل الكلمة الألمانية "stadt" "شتوتשטאט" التى تعنى مدينة صغيرة، والكلمة اليديشية عبرية فى الأصل، وكانت تعنى "شتلة" ويقصد بها زرع أو"شتل" كيان ما بداخل التربة. والشتتل عبارة عن تجمع سكانى يهودى، يبلغ عدد سكانه ما بين ألف وعشرين ألفا، إستوطن فيه اليهود على مقربة من النبلاء، وفى وسط الفلاحين البولنديين. أنظر: المسيرى (د.عبد الوهاب)، الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢م، ص٣٢ .

([2]) القاهال קהל: تنظيم اجتماعى يمثل جمهور اليهود المتجمعين فى منطقة واحده، وأطلق فى بداية الأمر على التنظيم الاجتماعى ليهود بولندا. وكانت الكلمة تستعمل فى البداية بمعنى "الاجتماع" أو "الجماعة". وهى ترتبط فى اشتقاقها اللغوى القديم بلفظة "قول" بمعن النطق. وهى فى العبرية تدل على الصوت والصياح والنداء فالقاهال هو مجموع الناس التى تبلغهم الدعوة فيأتون للاجتماع، وفى التوراة "ביום קהל" أى "فى يوم الاجتماع" (سفر التثنية ١٦/١٨). ومن ثم أصبح "القاهال" هو الهيئة التى تدعى عند المهمات، كقول النبى يوئيل "קדשו קהל" أى "قدسوا الجماعة" (يوئيل ١٥/٢-١٧). أنظر: ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص٥٩ .

([3]) أبو خضرة (د. زين العابدين) ، "إشكالية الهوية في القصة القصيرة"، مرجع سابق، ص ٨٥. أنظر أيضا: الشامي(د.رشاد عبد الله) ، إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٢ .

([4]) سالم (د. نجلاء رأفت) ، صراع الهوية داخل الشخصية اليهودية (دراسة فى قصة"السيدة والبائع المتجول "لشموئيل يوسف عجنون"، المجلد التاسع عشر، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة ٢٠٠٦م، ص١١٨ .

([5]) ديورانت(ول وايريل)، قصة الحضارة، مرجع سابق، ص٧٣ .

([6]) بركوخبا: يهودى ثائر أعلن التمرد على الرومان حوالى سنة ١٣٠م. وقد كان الحاخام "عقيبا بن يوسف" من كبار الداعين للانفصال عن الأغيار والثورة المسلحة ، ولذلك فحينما أعلن شاب يهودى يُدعى "شمعون" الثورة، نادى عقيبا بأنه "المسيح المنتظر" وسماه بركوخبا (عبارة آرامية تعنى: ابن الكوكب)، ولكن بعد =

فيما يلى، أولاً: عدم حدوث حركة انتقال جماعية (هجرة) لليهود من بلاد "الشتات" إلى "ايرتس يسرائيل"([1]) (فلسطين)، ثانياً: عدم الثورة على شعوب العالم، ثالثاً: ألا يحدث إفراط فى إضطهاد الشعوب غير اليهودية للشعب اليهودى، وكانت تلك عقيدة يهودية عامة لتفادى العمل السياسى، إنتظاراً لمجىء المسيح المخلص فى صبر، دون محاولة التعجيل بقدومه لأن ذلك محرم تماماً([2]).

ومن جهة أخرى، فلا يمكن ان نهمل البعد اليهودى فى بناء الهويات فالدين اليهودى عنصر أساسى فيها، كما أن الرؤية الدينية بعد حيوى مهم ولكنه نشأ وسط تشكيلات حضارية وتاريخية مختلفة تفاعلوا معها وأثروا فيها وتأثروا بها، وإن كانت درجة تأثرهم تفوق كثيراً درجة تأثيرهم، كما هو الحال عادة مع أعضاء الأقليات، فهناك هوية بابلية يهودية، وأخرى فارسية يهودية، وثالثة أمريكية يهودية، ورابعة عربية يهودية، فلا توجد ما تُسمى هوية يهودية عامة مطلقة، وإنما هويات يهودية مُتعينة متنوعة ([3]) .

ومع فقدان اليهود لدورهم الاقتصادى، نتيجة التحول التدريجى للمجتمع الإقطاعى، وظهور أنماط الرأسمالية التجارية المحلية، إنهار مركزهم عبر القرون، من تجار دوليين إلى صغار مرابين، وترك هذا الانحطاط الاقتصادى للجيتو أثراً عميقاً على وجدان اليهود القاطنين فيه، وعمق من انفصالهم عن العالم الخارجى. ففى الجيتو كان اليهودى يهرب من العالم الخارجى لعالم كان يتصور أن كل مافيه يهودى خالص، فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون حرج، ثم يمتنع عن العمل يوم السبت، حتى يعجل بعودة المسيح الذى سيقود شعبه لأرض الميعاد، وحينما كان يحاول اليهودى أن يدرس شيئاً، فإنه كان يذهب إلى "بيت هامدراش"([4]) ،أو يذهب إلى المدرسة التلمودية، ولا يقترب البتة من تاريخ الأغيار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء فى كتب اليهود المقدسة ([5]) .

=هزيمة المتمردين أمام جيش الامبراطور الرومانى هدريان، انفض اليهود من حوله وأطلقوا عليه "بركوزبا" أى "ابن الكذاب". أنظر: ظاظا(د. حسن)، الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص١٣٣ .

([1]) ايرتس يسرائيل هو الاسم العبرى لفلسطين أى "أرض إسرائيل". (راجع الباب الثالث، الفصل الأول، المبحث الثانى) .

([2]) الشامي (د. رشاد عبد الله) اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الشتات، مرجع سابق، ص١٣ .

([3]) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودي ؟، مرجع سابق، ص ١٦-١٧ .

([4]) "بيت هامدراش בית המדרש : " المدراش" هو منهج فى تفسير "العهد القديم"، يحاول التعمق فى معنى آياته وكلماته والوصول إلى معانيه الخفية، أما "بيت هامدراش" فيعنى المدرسة أو دار الدراسة، وهو مكان يجتمع فيه البالغون للصلاة والدراسة بعد اجتياز المرحلة الأولى من التعليم فى "الحيدر"، وبعد مرحلة "بيت هامدراش" تأتى مرحلة "اليشيفاه"، وهى الأكاديمية التلمودية العليا، التى تدرس بها علوم الفقة والشريعة اليهودية. أنظر: الشامى(د. رشاد عبد الله)، لمحات من الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص٥٦ .

([5]) المسيرى (د. عبد الوهاب محمد)، المرجع السابق، ص ١٥٥ .

يقول إسرائيل شاحاك ([1])، فى كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود): "حتى القرن الثامن عشر كان مصطلح اليهودى متطابقاً أساساً مع ما فهمه اليهود بأنه المعنى الذى يشكل هويتهم الخاصة. وهذه الهوية كانت دينية بالدرجة الأولى" . ولكن قواعد السلوك اليومية، والتغيرات التى حدثت فى أوروبا، وظهور الحركة الصهيونية، خفف من حدة النزعة الدينية ([2]) .

وهكذا يتضح من السمات الأساسية التى ميَّزت هوية اليهود فى "الشتات" فى تلك الفترة، أن العزلة التى ميزت حياتهم فى الجيتو لم تكن معظم الوقت مفروضة عليهم، ولكنها كانت فى كثير من الأحيان بمحض إرادتهم، كما أن فكرة نقاء الجنس اليهودى أُثبت عدم صحتها، لأن اليهود قد اختلطت دماءهم وأنسابهم مع الشعوب على مر العصور، بالإضافة إلى أن اللغة العبرية التى كانو يستندون عليه قد تغيرت بتغير أماكن إقامتهم فى العالم. ونظراً لأن البناء كان هشاً، فقد تأثرت الجماعات اليهودية بالأحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التى حولها، لدرجة أن اليهود عندما جاءت حركة التنوير اليهودية، ولوحت لهم بوشاح الحرية والاندماج، لبى الكثيرون منهم النداء، وذابت هويتهم المزعومة داخل هويات الشعوب الأخرى، وهو ما سنحاول أن نلقى عليه الضوء فى الفصل القادم...

([1]) إسرائيل شاحاك ישראל שחק (١٩٣٣م-٢٠٠١م): يهودى بولندى، وُلد فى وارسو فى روسيا، وكان من الناجين مما يُسمى "الهولوكوست"، عمل محاضراً فى الكيمياء فى الجامعة العبرية فى القدس وهو رئيس سابق لأحد الجمعيات الإسرائيلية المعنية بحقوق الإنسان والحقوق المدنية. عرف عنه نقده الصريح للحكومة الإسرائيلية وللمجتمع الإسرائيلي على وجه العموم. كما أن كتاباته حول اليهودية أثارت الكثير من الجدل، وقد وصفه البعض ب"اللاسامية" على إثرها. نقلاً عن: http://ar.wikipedia.org/wiki 1/5/2011

([2]) أمارة (د. محمد) ، المرجع السابق، ص ٣٢.

الفصل الثانى

مفهوم "الهوية" فى ضوء حركة التنوير اليهودية

حركة التنوير اليهودية: البدايات والنشأة :

تزامن ظهور حركة التنوير اليهودية المعروفة "بالهسكالاه" مع أحداث عالمية تدعو إلى تحرر الإنسان من القيود والثورة على الظلم، وكان من تلك الأحداث الإعلان المشهور لحقوق الإنسان (١٧٨٩م)، والذى كان امتداداً لإعلان الاستقلال الأمريكى، والذى أفرد الحقوق الاقتصادية للإنسان، المسئول عن نفسه وعن كرامته الشخصية، هذا النظام الفردي الذى يقوم على أساس أيديولوجيات فى حد ذاته (المقصود هنا بأيديولوجية: هو فهم الإنسان لحقوقه الاقتصادية ومفهوم الحرية، والذى تم وضعه فى هذا الإعلان) ([1]).

وكما قال "هيجل"([2])، فقد بدأ فصل جديد فى تاريخ الشعب اليهودى، فصل يحكى الحالة اليهودية القائمة، والتى لا تزال متعلقة بالقديم. فقد بدأ التاريخ اليهودى المعاصر مع قيام الثورة الفرنسية فى القرن التاسع عشر، والذى تزامن مع التاريخ اليهودى الحديث المتجلي للعين , وهى ثورة التحرير العظيمة التى قامت عام ١٧٨٩ م ([3]).

لقد أدى تخلخل وضع اليهود الإقتصادى فى شرق أوروبا، فى القرن التاسع عشر نتيجة لظهور رأسماليات وقوميات محلية مستقلة، أخذت تطارد وتحاصر اليهود الذين كانوا يشتغلون بمهن وحرف لم يعد الاقتصاد الجديد فى حاجة إليها، وزاد الأمر سوءاً نتيجة العزلة شبه الكاملة فى الجيتو، ومنطقة الاستيطان، وبدأ المجتمع الغربى يستغنى عن الجماعات الوظيفية، وأخذ فى تصفيتها بعدة طرق، منها مساعدة أعضاء هذه الجماعات (ومنها اليهود)، على التخلص من خصوصيتهم، وفى دمجهم فى المجتمع، أو تشجيعهم على الإندماج ([4]).

وجاءت حركة "الهسكالاه" رغبة فى التخلص من العزلة التى ميزت الهوية اليهودية، بسبب حياتهم داخل الجيتو، فأذابت بشكلٍ أو بآخر الحواجز بينهم وبين البلدان المختلفة التى يعيشون فيها، ولكن بالرغم من ذلك فقد كانت الحياة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية لليهود محدودة إلى حدٍ ما([5]). وقد ساعد على ذلك كما يقول "د. حسن ظاظا"، انتشار شعبة من

([1]) Bein (Alex), Herzl (Theodore), A biography, The Jewish publication society of, America,1940 , p. 508

([2]) (هيجل) : هو جورج ويلهلم فريدريش هيجل (ولد فى ١٧٧٠م وتوفى ١٨٣١م) فيلسوف ألمانى، ومن أهم مؤسسى حركة الفلسفة المثالية الألمانية فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى، رحب بثورة القرن الثامن عشر الفرنسية، وبعد أن حلت الرجعية كل أنحاء أوروبا، بعد سقوط إمبراطورية نابليون، أثر ذلك فى طريقة تفكيره، وظهرت الفلسفة الحديثة، وأصبحت الثقافة والمجتمع فى نظره مشحونة بالتناقضات والتوترات، بين الحرية والسلطة ، بين الذات والآخر، بين التنوير والرومانسية. نقلاً عن: http//:ar.wikipedia.org/1/5/2010

([3]) Bein (Alex), Herzl (Theodore), A biography, p. 509

([4]) المسيرى (د.عبد الوهاب)، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص ١٩.

([5]) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 36 .

اليهودية التقليدية، هى شعبة اليهود "الحسيديم"([1]) ، وهم الذين وصلوا باليهودية ربيبة "الجيتو" إلى التعلق بالبدع والخرافات، وادعاء فعل المعجزات، ونحو ذلك من مظاهر الجدل التى تلازم انحطاط الفكر الدينى، فى كل الأديان، وجموده. وفى نفس الوقت الذى كانت هذه الحسيدية تسيطر على حياة اليهود فى أوروبا الشرقية وجزء من أوروبا الغربية، كان رقى العلم والثقافة فى أوروبا، قد أتاح لبعض الشباب اليهودى، أن يأخذ بنصيبه من العلوم الحديثة، ويثور على الانعزالية اليهودية، وكانت طلائع ذلك فى حركة الوعى الفكرى اليهودى الذى عاصر الحسيدية، والتى أُطلق عليها "الهسكالاه" أى التنوير والتفهم واليقظة ([2]).

ووفقاً للهسكالاه، فإن البداية الحقيقية للتاريخ الإنسانى تكمن، فى سيطرة العقل على الفكر الإنسانى – تطوير المعرفة – فى كل مجالات الحياة فى المجتمع الإنسانى، أى تطوير مجتمع عقلانى ([3]).

وقد رأت حركة التنوير أنه من حق الدين اليهودى أن يحظى بمكانة محترمة خارج الجيتو، وأن من الخطأ أن يظل اليهود داخل الجيتو حتى مجىء "المسيح المخلص"([4])، فالدين اليهودى كان الشغل الشاغل لليهود على مدى ما يقرب من ألفي عام. فقد كان يُمثل الجيتو شكلاً واحداً من أشكال تقاليد وتعاليم الحياة اليهودية، وعلى الرغم من وجود تعاليم كثيرة ومتنوعة داخل اليهودية، ثقافية وإنسانية، إلا أن تعاليم الحياة داخل الجيتو منغلقة وتقتصر على سكانها فقط، ولا تتسع سوى لواحدة منها ([5]).

ولذلك كانت دعوة حركة التنوير اليهودية للاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها بمثابة طوق النجاة لكثير من اليهود، للهروب من أسوار الجيتو التى تعزلهم عن العالم، وفى إحدى المقالات تحدث المؤرخ "لويس نامير" (١٩٦٠م–١٩٨٨م) عن مشكلة اليهود، ووصف فيها، بدقة وبراعة، تأثير حركة التنوير على الأعداد الكبيرة لليهود بقوله: "وكأنها الشمس على

([1]) الحسيدية החסידות : هى حكة دينية واجتماعية أسسها "ربى اسرائيل بعل شيم طوف" (اسرائيل صاحب السمعة الطيبة (١٦٩٩_١٧٦١) فى بولندا. ودعت الحسيدية إلى تأكيد قيمة الصلاة والعبادة الشخصية ونبذت دراسة التلمود، حيث دعت للعبادة بطريقة جديدة لا يلتزم فيها المتعبد بكتاب للصلوات، وانما يمارس العبادة فى بشاشة وفرح من خلال الرقص، إلا أنها دافعت عن التقاليد الدينية اليهودية عندما ظهرت الهسكالاه، وأول كتب الحسيدية هو "تاريخ يعقوب يوسف" للربى يعقوب يوسف الذى طبع عام ١٧٨٠م. أنظر: العكش (د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص٥٣٥_٥٣٦ .

(٢) ظاظا (د.حسن)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص٣١٣ .

(٣) אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, עמ' 66.

(٤) "المسيح المخلص": هو المخلص المنتظر لليهود، والذى سوف يخلصهم ويبدأ عهداً جديداً، وهو "أيام المسيح"، حيث يعيش البشر حياة سعيدة، قائمة على السلام والعدل، وقد أدى هذا الأمل إلى ظهور حركات مسيحانية فى تاريخ اليهود تتعجل النهاية، حيث يرد فى النبوءة المسيحانية فى التلمود والمدراشيم، أن المسيح ابن داوود سينقذ اليهود من ضائقتهم، ليحقق نبوءة الدولة اليهودية الكاملة المؤسسة بأحكام التوراة. وسوف يسبق مجيء المسيح المخلص، فترة من الاضطرابات الشديدة أو ما يُسمى "آلام مجيء المسيح חבלי משיח". أنظر: الشامى (د. رشاد عبدالله)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، مرجع سابق ، ص١٩٩ .

(٥) אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, עמ' 267.

نهر جليدى، حيث زالت القشرة الخارجية وتبخرت، وانصهر جزء كبير من النهر فى طوفان مضطرب من المياه التى غمرت الوديان، بينما تجمع باقى النهر فى برك ماء راكدة ([1]).

وكان مهد "الهسكالاه" ومركزها فى برلين، حيث يعتبر الفيلسوف الألمانى "موسى مندلسون"([2])، هو أول من أجرى الاتصال الفعلى بين اليهود وثقافات الدول الأوروبية، ثم امتدت حركة "الهسكالاه" إلى دول غرب أوروبا، ووصلت إلى روسيا، حيث كان هناك مركزان للهسكالاه فى روسيا، أحدهما فى ليتوانيا، والآخر فى فولينيا. وأُفتتحت أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة فى روسيا عام ١٨٣٦ م، إلا أن نظراً لزيادة عدد اليهود هناك، تم اضطهاد المتنورين، ونبذهم من المجتمع اليهودى نفسه ([3]).

وكذلك نمو الرأسمالية الروسية السريع، ساهم فى إفشال حركة "الهسكالاه"، فالتخلف الحضارى المتطرف للجماهير اليهودية، وارتباطهم بحِرَف لم تعد موجودة، مثل التجارة البدائية والربا، جعل من عملية التكيف مع الواقع الاقتصادى والحضارى أمراً عسيرا للغاية، خاصة وأن المتنورين كانوا من الأرستقراطيين، والأثرياء، والمثقفين، وكان لهم من الخبرات ماهو مطلوب اقتصادياً، عكس ما كانت عليه الجماهير اليهودية العادية ([4]).

ومن الأسباب أيضاً التى أدت إلى عدم استمرارها، أن حركة الهسكالاه كانت حركة مثالية، حاولت رؤية كل البشر متساوين، وبناء فلسفة سياسية تقوم على فكرة حرية الإنسان كانسان، ولكن هذه النظرية غير واقعية، وقد ساهمت هذه السمة فى فشلها ([5]).

كما أن الذين يؤمنون بالتماسك الداخلى للأعراق والمجتمعات، وكذلك من رأوا أن الديانة اليهودية وحدها هى التى تقول الحقيقة، قد اتهموا أتباع "الهسكالاه " بعدم الولاء، والهجر، بل واعتبروهم خونة وماكرين ([6]).

([1]) Bentwich (Norman), Hebrew university Garland (A silver jubilee symposium) constellation books, London, p.18

([2]) (موسى مندلسون משה מנדלסזון) (١٧٢٩ – ١٧٨٦): القائد الروحى لحركة التنوير اليهودية، ولد فى ديسلبو، وتلقى تعليماً دينياً، ثم سافر إلى ألمانيا. نادى مندلسون بنشر المذهب العقلى، الذى ينبذ القومية، وينكر الفردية العنصرية للشعب اليهودى، ونادى بضرورة تعلم اللغة الألمانية للوصول إلى الدوائر الألمانية المثقفة، فقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، ومن خلال هذه الترجمة حصل اليهود على مفهوم دنيوى للكتاب المقدس. وفى كتابه "القدس" عام (١٧٨٣م) بحث فى العلاقة بين الدين والدولة فيما يخص المسألة اليهودية فى أوروبا فى العصر الحديث. أنظر: عبد الفتاح (د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص٨. وأنظر أيضاً: האנציקלופדיה העברית, כרך עשרים ושלושה, שם, עמ' 518

([3]) عبد الفتاح (د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص ١١.

([4]) المسيرى (د.عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ٧٣.

([5]) אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, עמ' ٥١.

([6])Bentwich (Norman),Hebrew university Garland(A silver jubilee symposium),p19.

وانقسمت الآراء نحو الهسكالاه إلى فريقين: فريق يؤمن بالتقاليد القديمة، ومتعصب بشكل خطير للدين اليهودى، وللتعاليم اليهودية، ويعارض أى تجديد، ويفضل البقاء داخل أسوار الجيتو الجغرافى، والفكرى . وفريق آخر يؤمن بالتطوير، والتجديد، والتنوير، ويهدف إلى تحطيم أسوار الجيتو، وإخراج اليهود من العزلة، ويرى أن تكون اليهودية ديانة فقط وليست قومية، كما يرون أن مشكلة اليهودى المضطهد سوف تُحل بالاندماج (١).

وقد كانت من نتائج حركة التنوير اليهودية، أن أصبحت هناك أنماط مختلفة من الحياة، أثرت فى شخصية اليهودى، وساعدته على بناء هوية جديدة تختلف عن تلك الموجودة فى الجيتو:

الهوية فى ضوء حركة التنوير اليهودية :

لم تكن ملامح الهوية التى ظهرت بعد حركة التنوير "الهسكالاه" والتى منحت اليهود حقوق المواطنة وفتحت أمامهم الطريق للمشاركة فى الحياة الإجتماعية والسياسية للمجتمعات التى يعيشون فيها، كتلك الهوية التى تطورت فى الجيتو المنعزل، عندما كانت الحدود الفاصلة بين اليهود وغير اليهود واضحة تماماً وجلية، ولكن الخروج من الجيتو –عكس ما كان يتمنى المتأملون– لم يستوعب اليهود فى المجتمع المحيط بهم. إن التغير فى حياة اليهود لم يحدث فى المجتمعات المختلفة فى آن واحد، كما إنه لم يكن بنفس الدرجة. لقد بدأ الأول عند يهود غرب أوروبا ولم يصل إلى شرق أوروبا إلا بعد فترة وبصورة أكثر تحديداً. لكن المهاجرين الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية جاءوا ومعهم ذكرياتهم وأيديولوجياتهم الخاصة بهم، وتطورت هيئة وشكل المجتمع اليهودى والأمريكى، كمجتمع مابعد التحرر، ودون أية حاجة للدخول فى صراع مع المشكلات التى جاءت بعدها (٢).

فمع انهيار أسوار الجيتو، وفتح أبواب الإندماج ، ومع إدراك بعض قيادات الجماعات اليهودية الفكرية ضرورة تحديث الهوية اليهودية، لتتفق مع الأوضاع الجديدة، بكل ما تعطيه لليهود من حقوق جديدة وبكل ما تلزمهم به من واجبات جديدة ايضاً، فقد كان متصوراً أن تحديد الهوية اليهودية هو السبيل الوحيد لإحتفاظ اليهودى بيهوديته (الدينية أو الإثنية) (٣)، وتحقيق الاستمرار لها داخل المجتمعات التى تعيش بينها، إلا إنه قد حدث عكس ما كان متوقع. إذ إندمج اليهود تماماً فى مجتمعاتهم، بحيث أصبحت أنماط سلوكهم وأسلوب حياتهم لا تختلف كثيراً عن الأنماط والأساليب السائدة فى مجتمعاتهم، أما البعد اليهودى فى هويتهم، فقد أصبح

---

(١) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص ٣٣٠ .

(٢) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 54-55 .

(٣) الإثنية : هي مجموعة بشرية لها خصائص مميزة تحددها الثقافة المشتركة والهوية وهى تربط أعضاءها مع بعضهم البعض عادة على أسس مشتركة، وإعتراف الآخرين لها كمجموعة متميزة على أسس مشتركة ثقافية ولغوية وبيئية أو سمات بيولوجية وسلوكية. نقلاً عن: http // ar. Wikipedia .org / wiki/ 1/1/2012

هامشياً للغاية، وظهر أن الهوية اليهودية الجديدة (من منظور خصوصيتها اليهودية الدينية أو الإثنية)، هوية هشة رخوة تنتمى يهوديتها إلى المظهر والقشرة لا إلى المخبر والجوهر ([1]).

فعلى المستوى الدينى: نجد أن الانتماء الدينى أخذ شكل الإيمان ببعض الأفكار الغامضة عن وجود الإله، وبعض المبادىء الأخلاقية العامة الموجودة فى معظم الأديان، والمنظومات الأخلاقية. فقد اختفت تقريباً الشعائر الدينية اليومية التى تنظم حياة اليهودى، وكذلك اختفت الشعائر الأسبوعية والشهرية، ولم يبق إلا الشعائر السنوية ذات الطابع الاحتفالى، والتى لا تتطلب أية عملية ضبط للذات ([2]).

ويُلاحظ من الناحية الإثنية أن اليهود الجدد يتحدثون لغة البلد الذى ينتمون اليه، وقد يستخدمون كلمة عبرية هنا وكلمة يديشية هناك من قبيل التظاهر الإثنى، وتُعد الإنجليزية، وليست العبرية، لغة معظم يهود العالم ،وهى اللغة التى يتحدثون ويحبون ويكرهون ويتعبدون ويدبجون مؤلفاتهم الدنيوية والدينية بها، كما يعد تزايد معدلات الزواج المختلط من أهم علامات تآكل الهوية اليهودية وهشاشتها، فقد أصبحت هذه الهوية اليهودية الجديدة لا تشكل عائقاً أمام الزواج المختلط فى المجتمعات الأوروبية، فحينما يقرر شخص غير يهودى، مثلاً، أن يتزوج من يهودى، رجلاً كان أو امرأة، فإن إنتماء هذا الأخير لا يمس جوهر رؤيته للكون أو لنفسه، ولا يؤثر فى سلوكه بشكل كبير([3]).

ومن جهة أخرى، و نتيجة لما سبق، فقد ظهر مصطلح (يهودي غير يهودي)، لتشير إلى أى مواطن من أصل يهودى تآكل إنتماؤه اليهودى (سواء من الناحية الإثنية أو الدينية) أو اختفى تماماً، فهو أنسان مندمج تماماً فى محيطه، يُقبل على الزواج المختلط ، ولا يعيش فى جيتو، أو فى أى قسم من أقسام المدينة مقصورة عليه، كما لايتسم بأى تميز وظيفى، أو مهنى، أو ثقافى، فهو من اليهود الجدد أصحاب الهوية اليهودية الجديدة، ورغم كل هذا يُصنف على إنه "يهودى"، أما من قِبَل ذاته أو من قِبَل الآخرين، ومن ثَم تصبح يهوديته إما شيئاً مفروضاً عليه من الخارج، أو إدعاء ليس له ما يسانده، لا فى سلوكه ولا رؤيته ([4]).

وقد وصل الأمر إلى ما طرحته النظرية الرومانسية ،التى تأثرت بها الحركات الأوروبية، أن اليهودى لكى يحصل على المساواة الكاملة، التى نادت بها الهسكالاه، لابد وأن يكون هو ابن هذه الأمه التى يعيش بينها، ولكن كيف للأمه المسيحية أن يكون لها ابن غير مسيحى؟ ، وهذا التساؤل أدى إلى إقتراح أن تُسلب من اليهود حقوقهم , وأن يُسجنوا داخل الجيتو، ويتم رؤيتهم

([1]) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودى ؟، مرجع سابق، ص ٤٣ .

([2]) المسيري (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودى ؟، المرجع السابق، ص ٤٤ .

([3]) المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦ .

([4]) المرجع السابق، ص ٥٥ .

كأقلية (كغرباء أبناء أم الأخرى)، فيقوم نتيجه لذلك بتصحيح مساره ثم يتنصر ، وبذلك يحصل على المساواة الكاملة ([1]).

وعلى الرغم من أنه كان هناك بعض اليهود ممن يشعرون بالتآلف بسهولة مع عضويتهم داخل الجماعة اليهودية فى "الشتات"، بل ويرون أن هذه العضوية هى رمز لتميزهم، على الرغم مما يواجهونه من صعاب، ويرون أن انتسابهم للجماعة يقوى من ثقتهم بأنفسهم. إلا أن على الجانب الآخر، نجد يهود آخرين يرون أن انتسابهم للجماعة اليهودية "عار" عليهم، ويجعلهم يُعانون، ويشعرون بالنقص تجاه هويتهم، والتى لا يمكن أن يهربوا منها إلا بالتحويل الرسمى منها إلى دين أخر، ويشعرون بأنهم حتى ولو فعلوا ذلك، فلن ينسى جيرانهم غير اليهود أصلهم اليهودى (وكذلك اليهود أنفسهم سيتذكرون هذا فى مناسبات مختلفة)، وبمعنى آخر، فإن الفرد يحاول أن يرفض جزء من نفسه. وقد وصف الفيلسوف والروائى والناقد الفرنسى "جان بول سارتر"(١٩٠٥–١٩٨٠) تلك المحنة النفسية، والتى أطلق عليها محنة اليهودى "غير الحقيقى"، وهو الذى يختلف عن اليهودى "الحقيقى" ، حيث يريد الثانى أن يعيش ويرتقى بوضعه كيهودى، وهو الأمر الذى يجبر اليهودى "غير الحقيقى"، ويجعله يحاول أن يهرب من هذا الوضع، ويقول : "كلما دخل بين "الجوييم" لكى يهرب من الواقع اليهودى، يشعر أنهم يتقبلونه كيهودى، وفى كل لحظة يرونه يهودى، فحياته بالقرب من المسيحيين لم تجلب له التجاهل الذى يبحث عنه، وهذه الحالة تجعله فى توتر دائم ([2]).

انعكاس أزمة الهوية فى أدب "الهسكالاه" :

تأثر الأدب العبرى بالآداب الأوروبية فى فترة "الهسكالاه"، وتحول الإتجاه الأدبى من دينى إلى دنيوى، وأخذ الأدباء على عاتقهم مهمة تحرير يهود الجيتو اجتماعياً، ودينياً، وفكرياً، يحاكون أسلوب كتاب الغرب. فكتبوا الشعر والروايات المسرحية للتعبير عن أفكار الأدباء الذين كانوا يعملون على تغيير الحياة الاجتماعية لأبناء شعبهم. وكانت مادة الروايات المسرحية مستقاه من الكتاب المقدس، وكذلك الآداب الأوروبية الحديثة ([3]).

فقد أحدثت "الهسكالاه" شبه انفصام فى الشخصية اليهودية نتيجة هذه الأزمة الذى لا ينتهى أبداً، بين رغبة اليهودى فى الحفاظ على وضعه اليهودى، الذى يحفظ له شخصيته وكيانه عن طريق الانعزال عن المجتمع، وبين ضغوط الكيان الاجتماعى لاستيعابهم واندماجهم وتنويرهم بما يجرى فى العالم المحيط بهم. ونجد أن الأدب العبرى قد عبّر عن هذه الأزمة فى الأعمال الادبية ل "دافيد فريشمان" (١٨٦٠– ١٩٢٢) كما فى قصة "يوم عيد الغفران ביום

([1]) אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, עמ' 66-65.

([2]) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 32 .

([3]) عبد الفتاح (د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص ١٣ .

הכיפורים" (١٨٩٢)، "صلاة الموتى תזכורת נשמות" (١٩٠٤)، "تلاوة عيدالأسابيع תקון ליל שבועות"، "الرجل والبايب איש ומקטרתן"، والتى كانت تمثل صراع الشخصية اليهودية بين الانغلاق والتقوقع داخل النفس اليهودية المتمسكة بالتقاليد والشرائع، وبين الإنفتاح على العالم، والذى كان ينتهى غالباً بالشخصية اليهودية إلى حالة الإكتئاب، الذى أصبح ضمن مكونات نفسية غالبية يهود الجيتو، والذى نتج عن محاولة الهروب من ماضى يريد نسيانه، وحاضر فشل فيه ([1]).

ومن الأدباء الذين عبّروا عن أزمة الهوية داخل الشخصية اليهودية، خاصة بين رغبتهم فى التعلق بالقديم والانفتاح على الحديث، كان "موشيه حاييم لوتساتو"([2])، والذى نستشف من أعماله الأدبية وجود الناحية الدينية فيه دائماً، فهو يهدف بذلك إلى ربط اليهود بالفلسفة الأصلية الدينية. فنجده فى "מעשה שמשון قصة شمشون" يتناول موضوعاً دينياً لكنه يلبسه ثوباً عصرياً، مبتعداً كل البعد عن كل أثر ديني، وهو بذلك يصبغ عمله بروح العصر مع وصل الرباط وثيقا بينه وبين التراث القديم، كما ظهرت الناحية الدينية واضحة أكثر فى رواية "מגדל עוז حصن القوة" والتى يبرز فيها عودة اليهودى إلى التصرف السليم بعد ارتكابه خطأ، محاولاً بذلك إثبات أن اليهودى عظيم وممتاز، وفى ذلك تبرير لإختيار الرب له. كما نجد ذلك واضحاً أيضاً فى روايته "תהילה לישרים مدح للمستقيمين" حيث يثبت انتصار الحقيقة دائماً، ومحاولة الخديعة والزيف التغلب على العقل اليهودى، الذى ينتصر فى النهاية، حتى يستحق المكانة التى يدعى اليهود أن الله قد خصهم بها. كما تُعتبر انعكاساً رمزياً لتجربة "لوتساتو" الشخصية، وصراعه مع أبناء شعبه الذين بدلوا تعاليمه بتعاليم أخرى ([3]).

وقد عبَّر الأديب "نفتالى هيرتس فيزل"([4]) أيضاً عن هذا الصراع المتمثل فى الرغبة فى التعلق بالقديم والانفتاح على الحديث. فعلى الرغم من تشبعه بالمذهب العقلى الذى كان سائداً

([1]) صبرى (د. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص 400 .

([2]) "موشيه حاييم لوتساتو משה חיים לוצאטו" (١٧٠٧-١٧٤٧): شاعر صوفى وكاتب أخلاقى، وُلد فى (بادوا) فى إيطاليا (١٧٠٧م)، وتوفى فى عكا (١٧٤٧م). وقد تلقى تعليماً دينياً، حيث اكتسب معرفة عميقة بالمقرا والتلمود، إلى جانب الدراسات العامة في مجالات العلوم واللاتينية والإيطالية والفرنسية واليونانية بدأ نشاطه الأدبى فى سن مبكر. فألف كتابات دنيوية، كما قدم كتابات صوفية وأخلاقية، إلا إنه نال شهرته من خلال قرضه للشعر، من أعماله"الكتاب السرى מגילת סתרים"، "طريق المعرفةדרך תבונות" "طريق شجرة الحياة דרך עץ החיים" وفيها شدد على الأهمية الخاصة لدراسة التوراه من خلال "القبالاه" (التصوف). أنظر: האנציקלופדיה העברית, כרך עשרים ואחד, שם, עמ' 518...

(٣) عبد الفتاح (د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، المرجع السابق، ص ١٤-٢٣ .

(٤) (نفتالي هيرتس فيزل נפתלי הרץ ויזל)(١٧٢٥-١٨٠٥): كاتب وباحث، من رواد حركة التنوير اليهودية، ولد فى هامبورج، ثم انتقل مع والديه إلى كوبنهاجن، تلقى تعليماً دينياً، حيث كان والده من كبار التجار، ومقرب من البلاط الملكى، درس وقرأ الأدب والعلوم بلغات كثيرة، من أشهر أعماله الشعرية "أغانى المجدשירי תפארת" والتى بفضلها، يرجع إليه الباحثون بداية الشعر العبرى الحديث، والأدب أيضاً. أنظر: האנציקלופדיה העברית, כרך ששה-עשר, שם, עמ' 70

فى ذلك الوقت، إلا إنه كان متحمساً دينياً. ويظهر ذلك فى بعض أعماله مثل: كتاب "דברי שלום ואמת أقوال سلام وحق" (١٨٨٢م – ١٨٨٥م) حيث وضح فيها ضرورة الدراسات الدنيوية، وخاصة دراسة اللغات الحديثة ودراسة عبرية الكتاب المقدس، وفى ذلك مسايرة للعصر مع عدم فقدان الحلقة الدينية. ومن أعماله أيضاً "جنة مغلقة גן נעול" الذى يدرس النواحى الفيلولوجية(١) للغة العبرية، لإحياء التراث العبرى القديم، من أجل جعلها لغة قوية حية إذا ما استخدموها مستقبلاً لغة قومية (٢).

ومن هنا يمكننا القول أن الأديب نفسه كان مشتتاً بين محاولة اندماجه مع الشعوب الأخرى، وبين ارتباطه بالتراث القديم، ومحاولة إحياء اللغة العبرية والتى تُعد أحد عناصر الهوية اليهودية.

وقد عبَّر "أفراهام مابو عن (الهوية اليهودية الزائفة) فى روايته "المنافق עיט צבוע"، التى اعتبرت سلاحاً لحركة "الهسكالاه" ووثيقة إدانة لخصومها، يصور "مابو" النزاع بين قادة النظام القديم للحياة اليهودية، وبين زعماء "الهسكالاه"، كما أن "مابو" يصور فيها معارضى "الهسكالاه" كمجموعة من المنافقين الذين يرتكبون الجرائم فى السر، بينما يغلفون أعمالهم هذه بستار من الورع والتقوى، وذلك لإيهام أبناء طوائفهم بالمضى خلفهم. ففى الرواية يشن هجوماً على تلك الجماعة المتجسدة فى "ربى جبريئيل" الذى يتملق ويتلون طبقاً لظروف الساعة، رغم التظاهر بحرصه الشديد على التمسك بنصوص الشريعة (٣).

إن حركة "الهسكالاه" التى أخذت فى الانتشار، أواخر القرن الثامن عشر، أحدثت ثغرات عميقة داخل صور وأشكال التعاليم اليهودية فى الحياة اليهودية، وداخل بعض المجتمعات أكثر من التى كانت تنتمى إليها. فهم كانوا يهوداً آمنوا أنهم قادرين، ويجب عليهم أن يفصلوا هويتهم اليهودية عن حاضرهم، ولتحديد مجالات حياتهم الخاصة، أو كما قال "يهودا ليف جوردون" فى ذلك الوقت: "إن "الهسكالاه" تتجه إلى الديار، وإلى العالم فى الخارج، ولذلك أتعمق فى النظر إلى ما بداخلى. إن "الهسكالاه" خرجت لتجعلنى أقل يهودية وأكثر انسانية، ولكننى أريد أن أكون أكثر يهودية، لأن هذا الأمر هو الذى سوف يجعلنى أكثر إنسانية" (٤).

---

(١) "الفيلولوجية פילולוגיה": فقه اللغة، وهو يعنى دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب. كما يعنى أيضاً علم اللغة التاريخى المقارن (قديماً). ففقه اللغة هو العلم الذى يهتم بالثروة اللفظية للغة، أى الألفاظ والمفردات من حيث جمعها، والنظر فى أصولها ونوعها، وما يطرأ عليها من تغير على مر الزمن. أنظر: العكش(د. سعيد عبد السلام)، معجم مصطلحات علم اللغة النظرى، عبرى-عربى مع مسرد للألفاظ العربية، دار الكتاب للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٧٨.

(٢) عبد الفتاح (د .نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق،، ص ٢٤-٢٩ .

(٣) عوف (عبد الرحمن على)، الرواية التاريخية فى أدب أفراهام مابو، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٠م، ص٢١.

(٤) הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 55 .

ولم يقتصر الأمر على النثر فقط، فى الدعوة لهوية تتلاءم مع أفكار حركة الهسكالاه، بل تعداه إلى الشعر.

وتعتبر قصيدة "استيقظ يا شعبي הקיצה עמי" (١٨٦٣م) للأديب "يهودا ليف جوردون"، نموذجاً دعائياً لحركة "الهسكالاه"، فيقول :

הקיצה עמי ועד מתי תישנה?	استيقظ يا شعبى، فإلى متى النوم؟
הן גז הליל, השמש האירה	ها هو الليل انجلى والشمس أشرقت
הקיצה, שא עינך אנה ואנה	استيقظ وارسل ناظريك هنا وهناك
וזמנך ומקומך אנה הכירה	واعرف أين زمانك ومكانك
----------	----------
ארץ עדן הן לך תפתח	ها هى أرض الرفاهية تنفتح لك
בניה "אחינו" לך יקראון עתה	أبناؤها "إخواننا" الآن ينادونك
עד מתי תהיה קרבם כאורח	فإلى متى ستظل كالضيف بينهم
למה מנגד להם תלך אתה? (١)	ولماذا تخالفهم طريقك؟

ويختتم جوردون هذه القصيدة بالشعار المأثور :

היה אדם בצאתך ויהודי באהלך (٢) كن يهودياً فى بيتك وإنساناً خارج بيتك

والتى أصبحت بعد ذلك شعار حركة "الهسكالاه" .

نلاحظ أن الشاعر يستحث اليهود للنهوض من غفلتهم، والاندماج ومجاراة الشعوب التى يسكنون معها، ومحاكاتها فى طلب البحث والعلم.

وقد رأى الشاعر يهودا ليف جوردون، فى الفكر الدينى المتشدد، نقطة الضعف الأساسية فى الوجود اليهودى. وإنه لكى يحيا اليهود حياة سليمة، ولكى يزدهر المجتمع اليهودى، لابد من التحرر من هذا الفكر، من خلال دعوته إلى السخرية من التعليم الدينى وفضح نواقصه، وعدم التمسك بحرفية الدين الذى لم يجر على اليهود سوى العدم، ولم يبحث التغيير من داخل اليهودية نفسها، بل استعار أفكار ومفاهيم الحضارة الغربية الأوروبية، وحاول أن يُطبقها على الحياة اليهودية. فقد استطاع جوردون أن يُلخص نظرة اليهودى الحديث، للتقاليد الدينية اليهودية الموروثة ، حيث يقول فى قصيدته التاريخية "بين أنياب الأسود **בין שני אריות** " التى ظهرت فى عام ١٨٦٥م:

---

(١) גורדון(יהודה ליב), כתבי יהודה ליב גורדון, שירה, הוצאת דביר, הדפסה חמישית, תל-אביב 1964, עמ' יז .

(٢) שם.

כוננו בתי מדרש – ומה הורוך?	"أقاموا المدارس. وماذا علموك؟"
הורוך לשמור רוח, לחרוש אבן	"علموك أن تحفظ الرياح وتحرث الحجر"
לחשוף מים בברכה, לדוש תבן	"أن تكشف عن الماء فى البركة وتدرس التبن"
הורוך הה להלוך נגד החיים	"آه ، علموك السير عكس الحياة"
----------	----------
להיות מת בארץ חי בשמים	"أن تكون ميتاً فى الأرض حياً فى السماء"
----------	----------
וכחנוט חי לדורות הציגוך (١)	"وكالمحنط الحى قدموك للحياة"

نلاحظ أن الشاعر استخدم بعض التعبيرات التى يشير بها إلى أن التمسك بحرفية الدين لن يعود بالفائدة على اليهود سوى العدم. مثال ذلك: "حرث الحجر، درس التبن، السير عكس الحياة، حياً فى السماء، المحنط الحى" .

ومن الأدباء الذين ظهروا فى تلك الفترة، الأديب "ميخا يوسف برديتشفسكى" (٢)، وهو الذى استخدم قصصه منطلقاً إلى تحرر ذاتى ثقافى وإنسانى للإنسان اليهودى، حيث وضع فى أسس العلاقات الإنسانية للإنسان اليهودى مع ذاته، ومع ميراثه، ومع تاريخه، ومع موطن إقامته أيضاً، كما جاءت أعماله القصصية معبرة عن المجتمع اليهودى بكامل حياته المتأججة، فهى تعطى تعبيراً عن اليأس والحيرة والاضطراب(٣). وتعتبر المجموعة القصصية "من عالمين משני עולמות" هى أفضل معبر عن المجتمع اليهودى فى تلك الفترة. فهذه المجموعة وغيرها تصور تمزق اليهودى فى العصر الحديث بين تقاليد اليهودية، وروح الحضارة الغربية، وتتضمن نماذج بشرية مختلفة، تجابه الجمود الفكرى، وتتطلع إلى أفكار وقيم جديدة، بعيداً عن التراث اليهودى.

إن إحدى المشكلات الأساسية للشباب اليهودى فى العصر الحديث، كانت المواجهة مع نفسية مشوشة، ومع خطر فقدان "الأنا"، خاصةً هؤلاء الشباب الذين عاشوا بين ثقافات ولغات

---

(١) גורדון(יהודה ליב), כתבי יהודה ליב גורדון, שם, עמ' קג .

(٢) "ميخا يوسف برديتشفسكى": أديب وباحث وناقد عبرى، ولد فى اوكرانيا ١٨٦٥م وتوفى فى برلين عام ١٩٢١م , ينتمى لأسرة حسيدية، وتزوج وهو فى سن السابعة عشر، وقد اضطلع أدب الهسكالاه، واتخذ اسماً عبرياً وهو ميخا يوسف بن جوريون، كما نشر كثيراً من القصص التى تصور الأساطير، وقد خرج عن مدرسة التلمود و مذهب الحسيديم الذى كان يعيش فيه غيره، إلى الجامعات الأوربية،حيث حصل على دكتوراه فى الفلسفة عام١٨٨٦م فى برلين. ونقد العهد القديم، ودعا إلى تحرير الأدب العبرى من قيود اليهودية، بعيداً عن السيطرة الصهيونية على التفكير والعقل، ورأى أن النقد الذاتى هو الكفيل بتطوير الشخصية اليهودية. وقد ظهرت مؤلفاته بالألمانية، يصنف على إنه مفتتح الأدب العبرى الحديث،ومن أهم مؤلفاته الأدبية "بيت هامدراش בית המדרש"(١٨٨٨م)، "فى ضجيج الرعد בסתר רעם"، "בית תבנה بيت القش"، "المخيمان מחניים". أنظر: שאנן (אברהם), מלון הספרות החדשה העברית והכללית, שם, עמ' 131-130 .

(٣) محمود (بدوى محمد)، تيار الوعى فى الأدب العبرى الحديث، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م،ص١١٠ .

مختلفة، وحلموا بمجتمع طبيعى، يتحرر من حواجز، كاللغة والأمة وغيرها (١).

ويمكن أن نبلور فلسفة "بريديتشفسكى" وأفكاره الثورية الداعية إلى قطع الصلة بالماضى من أجل صلة جديدة مع الحاضر ومعاصرته، كما فى روايته القصيرة "المخيمان מחניים"(٢)(١٨٩٩م) :

" שם הוא שוכן ושם הוא לומד, שם יחשוב לו מחשבות והגיונות סותרים ועוקרים, מחשבותיו שלפנים והגיונותיו שלפנים; ושם הוא חולם חלומות חדשים על קברות חלומות אשר מלפנים...לפנים היה כולו רק בן לנחלת–אבות והיה שומר משמרת אבות, ועתה יצה מחוץ לתחומים ועמל הוא לבטל כל מה שרכש לו בין החומות...הוא יצא מאפלה לאור, מעבדות לחירות; " (٣) .

" هناك يسكن وهناك يتعلم، هناك حيث يتفكر بأفكار وتأملات غامضة وعقيمة، أفكاره وتأملاته السابقة، وهناك يحلم بأحلام جديدة عن دفن أحلامه السابقة ... لقد كان فيما سبق مملوكاً كله لميراث آبائه فقط، وكان قائماً على خدمة الآباء. أما الآن فقد خرج عن حدودها ويعمل على وقف كل ما اكتسبه بين الأسوار ... لقد خرج من الظلام إلى النور، من العبودية إلى الحرية ".

يعبر هنا "بريديتشفسكى" عن تلك النفسية المشوشة للشباب اليهودى من خلال بطله "ميخال" الشاب اليهودى الذى يترك مسقط رأسه فى شرق أوروبا، إلى مراكز الهسكالاه الأوروبية ليطرق أبواب العلم والحضارة الأوروبية والمدنية الحديثة. وعند عودته لبلدته يجد نفسه غريباً فى سلوكه وتفكيره وأفكاره ومبادئه، ويجد نفسه معزولاً فى بيته، ومنفياً بلا عودة من عالم التقاليد، الذى أراد أن يضيف إليه، دون أن يتخلى عنه (٤).

إن وضع " بريديتشفسكى" بين الأجيال بالنسبة لجيله، مقدرته على أن يحمل على عاتقه ميراث الأجيال، وربطها مع احتياجات الفرد. ومع بداية القرن العشرين، كانت قصصه هى نقطة الإنطلاق نحو الحداثة (٥) فى الأدب العبرى الحديث، ودعوته "لتغيير القيم"، وتأسيس قيم

---

(١) ברדיצ'בסקי (מ. י.), משני עולמות, אחרית דבר מאת: צבורה כגן, הוצאת דביר, תל-אביב 1988, עמ'219.

(٢) "المخيمان מחניים": تدور أحداث الرواية حول شاب يهودى فقير هو "ميخال، ينتقل إلى مدينة صغيرة طلباً للعلم، وهناك يفشل فى العمل ويضطر إلى العيش على المعونة التى يرسلها والده إليه، وتتصارع بداخله قوتان، قوة جذورة وثقافته اليهودية التى ينفر منها، وقوة الحضارة الغربية المتفتحة التى يتطلع إليها، والتى من أجلها خرج من بيت أبيه وبلدته، ولكنه يُصدم فى نهاية الرواية، عندما تسوقه شهوته إلى امرأة فى الخامسة والثلاثين من عمرها، يكتشف بعد ذلك أنها أم الفتاة التى يحبها، ويضطر على أثر الصدمة إلى تركها وترك البلدة كلها، بعد أن دمر مثله وأخلاقه وأحلامه. أنظر: أحمد (بدوى محمد)، تيار الوعى فى الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص١١١ .

(٣) ברדיצ'בסקי(מיכה יוסף), כתבי מ. י. ברדיצ'בסקי, כרך א, הוצאת דביר,תל-אביב 1965,עמ' 22.

(٤) أحمد (بدوى محمد)، تيار الوعى فى الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص ١١٢ .

(٥) الحداثة-أدب الحداثة: يطلق على الأدب الذى يولع بالتجديدات دائماً، والذى يبحث عن أشكال جديدة من التعبير، مثل مايا كوفسكى فى الأدب الروسى، وأفراهام شلونسكى فى الأدب العبرى، فلم يستطع كل منهما أن يعبرا عن نفسهما بأدوات ووسائل قديمة، وذلك لأن كل عصر فى - نظرهما – يعبر عن نفسه بلغة خاصة به. أنظر: العكش (د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص٣٥٢.

جديدة، جاءت لكى تحافظ ليس فقط على "الأنا" كمفهوم شخصى ضيق، وإنما لتحافظ أيضاً على الأنا بالمفهوم العام الواسع ([1]).

وتُعد قصصه: "فى الوادى בעמק"، "الصيف والشتاء הקיץ והחורף"، "الأبناء والأباء הבנים והאבות"، "الهروب הבריחה"، من أفضل أعماله الأدبية التى تعبر بوضوح عن المجتمع اليهودى، فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين، هذا المجتمع الذى يتجلى هنا فى كامل حيويته، التى تفجرت من الأزمة القاسية التى لحقت به فى تلك الفترة، والتى طرحت تعبيرات كيأس، وحيرة، وعلامات استفهام الإنسان اليهودى فى العصر الحديث، عبّرت أيضاً عن قوى الحياة العظمى الكامنة فى نفسه. ومن خلال مسيرة "إعرف ذاتك"، كانت قصصه هى نقطة الانطلاق إلى التحرر الذاتى، الإنسانى، والثقافى للإنسان اليهودى مع ذاته، وميراثه، وتاريخه، ومع مكان معيشته أيضاً ([2]).

وفى نهاية هذا الفصل يمكننا أن نستنتج ما يلى:

- أثرت العزلة التى فرضها اليهود على أنفسهم داخل أسوار الجيتو، وكذلك الاضطرابات التى حدثت فى أوروبا، قبل قيام إسرائيل، على تكوين الشخصية اليهودية، فتشتت هوية اليهود بين الواقع الذى يعيشون فيه، من إحساسهم بالانطواء والشك فى كل ما حولهم، وبين ما يؤمنون به، عقدة الإحساس بالتميز، وأنهم "شعب الله المختار"، وقد عبر الأدب عن طابع الحياة فى الجيتو، ومدى تأثير ذلك على تشكيل هويتهم المنعزلة.

- وإذا كانت هوية أية أمة تتشكل وفقاً لعوامل كاللغة والدين وغيرها، فإننا نجد أن اللغة العبرية لم تكن فقط هى التى اعتمد عليها اليهود فى حياتهم، وظهرت لغات أخرى هجينة بين العبرية ولغات أخرى. وبعد أن جاءت حركة التنوير اليهودية، اندمج معظم اليهود داخل الشعوب الأخرى، وتخلوا عن لغتهم العبرية ليتحدثون لغة هذه الشعوب.

- وكذلك تراجع دور الدين، عن التأثير على حياة اليهود، كما كان فى الجيتو. ونادى الأدب بهذا الاندماج، من أجل التخلص من قيود الجيتو على اليهود. وأصبحت هوية اليهود تتحدد وفقاً لهوية البلاد التى يعيشون فيها، كل هذا ساعد على ظهور بعض اليهود الرافضين للاندماج، والراغبين فى إقامة وطن لهم يجمعهم، وظهرت الحركة الصهيونية، وطرحت نفسها كهوية، وظهرت أيضاً تخبطات الهوية فى المجتمع الإسرائيلى، وأدت إلى ظهور هويات أخرى كالهوية الكنعانية، والهوية الصبارية، وسوف نتناول فى الباب القادم، موقف اليهود من هذه الهويات، وكيفية تناول الأدب العبرى لهذه الرؤى.

([1]) ברדיצ'בסקי (מ. י.) , משני עולמות , שם, עמ' 226 .

([2]) שם, עמ' 219.